Arab Journal of Sciences & Research Publishing (AJSRP) • Vol 9, Issue 2 (2023) • P: 28 - 1
https://journals.ajsrp.com/index.php/ajsrp
ISSN: 2518-5780 (Online) • ISSN: 2518-5780 (Print)

Mentioning of the Righteous and the Wicked in Surat Al-Mutaffifin in the Quran; An Analytical Rhetorical Study

Dr. Meshal Fehan Ballash Al-Osaimi
Ranya University College | Taif University | KSA

Received: 04/07/2022
Revised: 15/08/2022
Accepted: 03/04/2023
Published: 30/06/2023

* Corresponding author: mf.alosaimi@tu.edu.sa

Citation: Al-Osaimi, M. F. (2023). Mentioning of the Righteous and the Wicked in Surat Al-Mutaffifin in the Quran: An Analytical Rhetorical Study. *Arab Journal of Sciences & Research Publishing, 9(2),* 1 – 28. https://doi.org/10.26389/AJSRP.L040722

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• Open Access

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The research aims to investigate Surat Al-Mutaffifin, which consists of thirty-six verses, rhetorically and analytically, in an attempt to answer some pressing questions as follows; how can studying Surat Al-Mutaffifin rhetorically answer questions like: why is an entire Quranic Chapter dedicated to fraudulency in (weighing and measuring)? What is the true meaning of fraudulency? What is the reality of the wicked and the righteous in this worldly life? What is the secret of balancing between them in Al-Mutaffifin Chapter by talking about fraudulency in (weighing and measuring) as a major sin? And why are there multiple names of the people of hell in the Chapter like in (the fraudulent, the wicked, the liars, the criminals, the infidels)? Is there a worldly or eschatological relationship between them? Or are they - all - names for the doer of that sin? How does the eloquence of the Qur'anic text in the Chapter achieve the goals of promising and threatening? Is there a major sin that brings a Muslim out of faith to unbelief other than associating others with Almighty God? And how the eloquence of the Qur'anic text became a faithful messenger, that delivers spiritual, psychological, and intellectual messages; for all those to whom the Qur'anic discourse is addressed, not just abstract arts and ornaments that are meant for themselves?

The research, also, attempts to confirm that the Qur'anic rhetoric is a representation of the same meanings, so it is not possible to separate - in any way - between the scope of meanings and that of rhetoric because when practicing analysis there are no spaces separating them, both of them are intermingled and united, and extends to include all the Qur'anic text completely, when the analytical practice of a particular verse extends those scopes, and extends to the rest of the total text, detailing the general, or revealing the ambiguous, in operations of parallelism, intersection, and integration, which filters one interpretation, or displaces another, or combines between a number of interpretations under the umbrella of textual probability; encompassing the other textual processes that reveal intermingling and integration of both scopes, in an effort to form more mature interpretations when this practice becomes active.

Keywords: the righteous - the wicked - the fraudulent (in weighing and measuring).

حديث القرآن عن الأبرار والفجَّار في سورة المطففين؛ دراسة بلاغيَّة تحليليَّة

د/ مشعل بن فيحان بن بلاش العصيمي
الكلية الجامعية برنية | جامعة الطائف | المملكة العربية السعودية

المستخلص: يتناول البحث سورة (المطففين)، وآياتها ست وثلاثون آية، دراسة بلاغيَّة تحليليَّة، محاولًا الإجابة عن أسئلة تطرح نفسها؛ كيف يمكن للدِّراسة البلاغيَّة لسورة المطففين أن تجيب عن أسئلة؛ من مثل: لِمَ خُصِّصَتْ سورة كاملة للتَّطفيف؟ وما حقيقة معنى التَّطفيف؟ وما حقيقة الفجَّار والأبرار في الدُّنيا؟ وما سرُّ الموازنة بينهما في تلك السُّورة (المطففين) من خلال الحديث عن (التَّطفيف)؟ ولِمَ تعددت أسماء أهل النَّار في السُّورة: (المطففين ـ الفجَّار ـ المكذبين ـ المجرمين ـ الكفَّار)؟ وهل ثمَّة علاقة دنيويَّة، أو أخرويَّة بين هؤلاء؟ أم أنَّها ـ جميعًا ـ أسماء لمُقْترِف ذلك الذَّنب (التَّطفيف)؟ وكيف حقَّقت بلاغة النَّص القرآني في السُّورة غاية الوعد وغاية الوعيد؟ وهل هنالك كبيرة تُخْرِجُ المسلمَ من حظيرة الإيمان إلى الكفر غير الشِّرك بالله تعالى؟ وكيف صارت بلاغة النَّص القرآني رسولًا أمينًا، وصلة رُوحيَّة، ونفسيَّة، وذهنيَّة؛ لكلِّ مَن وُجِّه إليه الخطاب القرآني، لا فنونًا تجريديَّة، وحلي تراد لذاتها؟

كما أكَّد البحث أنَّ البلاغة القرآنيَّة تمثيل للمعاني ذاتها، فلا يمكن الفصل ـ بأيِّ حال من الأحوال ـ بين دوائر المعاني ودوائر البلاغة، إذ عند ممارسة التَّحليل إذا هي إيَّاها، فلا مسافات فاصلة بينهما، فكلتاهما متلبسة متَّحدة بشِقِّها، وكذا تتَّسع الدَّوائر المتَّحدة حاضنة النَّص القرآني كاملًا، فعند الممارسة التَّحليليَّة لآية معينة تمتد تلك الدَّوائر، وتستطيل إلى سائر النَّصِّ الكلي، تستدعي منه ما يفصِّل مجملًا، أو يكشف غامضًا، في عمليات من التَّوازي والتَّقاطع والتَّكامل، الَّتي ترشِّح تأويلًا ما، أو تزيح آخر، أو تؤلف بين عدد من التَّأويلات تحت مظلَّة المحتمَل النَّصي؛ إلى آخر تلك العمليَّات النَّصيَّة الكاشفة عن التَّداخل والتَّكامل، سعيًا لتكوين رؤى تأويليَّة أكثر نضجًا كلَّما نشطت تلك الممارسة.

الكلمات المفتاحيَّة: الأبرار ـ الفجَّار ـ المطففين.

المقدِّمة.

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه الطَّيبين الأخيار، أمَّا بعد:

فإنَّ القرآن الكريم نور للقلوب، وشفاء للنُّفوس، وإذا كانت دراسته فرض كفاية للمستعين بالله لها، فإنَّ الباحث يصبو- أولًا - إلى مرضاة الله - ﷻ - والرَّغبة في استثمار الطَّاقة البلاغيَّة للنَّص القرآني في سورة المطففين؛ لكشف حقيقة الفجَّار والأبرار.

مشكلة البحث:

يجيب البحث عن تساؤلات، من أهمها:

1- لِمَ خُصِّصَتْ سورة كاملة لكبيرة التَّطفيف؟ وما حقيقة معنى التَّطفيف؟
2- ما حقيقة الفجَّار والأبرار في الدُّنيا؟ وما سرُّ الموازنة بينهما في تلك السُّورة (المطففين) من خلال الحديث عن (التَّطفيف)؟
3- لِمَ تعددت أسماء أهل النَّار في السُّورة: (المطففين - الفجَّار - المكذبين - المجرمين - الكفَّار)؟ وهل ثمَّة علاقة دنيويَّة، أو أخرويَّة بين هؤلاء؟ أم أنَّها - جميعًا - أسماء لمُقْترِف ذلك الذَّنب (التَّطفيف)؟
4- كيف حقَّقت بلاغة النَّص القرآني في السُّورة غاية الوعد وغاية الوعيد؟ وهل هنالك كبيرة تُخْرِجُ المسلمَ من حظيرة الإيمان إلى الكفر غير الشِّرك بالله تعالى؟ وكيف صارت بلاغة النَّص القرآني رسولًا أمينًا، وصلة رُوحيَّة، ونفسيَّة، وذهنيَّة؛ لكلِّ مَن وُجِّه إليه الخطاب القرآني، لا فنونًا تجريديَّة، وحلي تراد لذاتها؟

أهميَّة الدِّراسة:

تنبع أهميَّة دراسة هذا الموضوع من كونه يفيد في التَّعرف على ما يأتي:

1. تتبُّع المسار البياني في السُّورة الكريمة للكشف عن سرِّ الجمع بين مسمَّيات عديدة لأصحاب النَّار (المطففين - الفجَّار - المكذبين - المجرمين - الكفَّار) في مقابل مسمى واحد لأصحاب الجنَّة (الأبرار).
2. بيان كيف استطاعت بلاغة النَّظم القرآني في السُّورة تحقيق غاية الزَّجر للبعد عن (التَّطفيف)، والنُّفور من فريق الفجَّار، وتحقيق غاية التَّرغيب للحاق بفريق الأبرار.

الدِّراسات السابقة لهذا الموضوع:

هدتْني محركات البحث إلى ثلاثة أبحاث في دراسة سورة المطففين؛ الأول: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، سورة المطففين؛ لمحمد مبارك المزيودي 2012م، في ست وأربعين صفحة.

والثَّاني: سورة المطففين دراسة تحليليَّة وموضوعيَّة؛ لأمين بن علي بن علي الثور، جامعة المدينة العالميَّة، في أربع وخمسين صفحة.

والثَّالث: بنفس العنوان السَّابق: سورة المطففين دراسة تحليليَّة وموضوعيَّة، لسعد مسعودي، وهي مذكرة تخرج، ضمن متطلبات شهادة الماجستير، جامعة الشَّهيد حمّة لخضير الوادي، شعبة العلوم الإسلاميَّة، في مئة وسبع وثلاثين صفحة.

وقد اختلفت الدِّراسة الَّتي بين أيدينا عن تلك الدِّراسات الَّتي أشرتُ إليها من حيث الدَّوافع والمعالجة؛ أمَّا دوافعهم فكانت تتمثَّل في رغبتهم في جمع ما طرحه المفسرون حول السُّورة، والكشف عن التَّعامل الأمثل في بعض الأمور الاقتصاديَّة؛ مثل: عمليات البيع والشِّراء، والعدل في الكيل والميزان.

وأمَّا المعالجة فكانت أقرب إلى التَّفسير الرَّامي إلى جمع ما طرحه المفسِّرون، وترجيح بعض الأوجه؛ دون سبر لأغوار النَّظم القرآني، والكشف عن طاقاته البلاغيَّة الَّتي تُمكِّن الباحث من طرح المزيد من لطائف المعاني؛ كي تدلنا على سرِّ الموازنة في السُّورة الكريمة بين الفجَّار والأبرار في ظل الحديث عن (التَّطفيف)، ودراسة كل عدول لغوي بلاغي دراسة تحليليَّة، تمكننا من كشف حقيقة الفجَّار، وسر تعدد أسمائهم؛ من (المطففين) في أول السُّورة، حَتى (الكفَّار) في آخرها؛ وهو ما سعت إليه دراستنا.

منهجيَّة الدِّراسة.

استعان الباحث في دراسته البلاغيَّة لسورة المطففين بالمنهج التَّحليلي، الَّذي يعمد إلى تحليل نظم السُّورة الكريمة إلى عناصره الأوليَّة؛ لبيان ما يصل إليه الفهم الواعي من مواضع الجمال والإعجاز، واستخراج لطائف المعاني لبيان حقيقة الأبرار والفجَّار في ظل الحديث القرآني الكريم عن التَّطفيف.

خطة البحث:

- المقدِّمة. وتضمنت ما سبق.
- المبحث التَّمهيدي، نبذة عن سورة المطففين، ومناسبة السُّورة ما قبلها لما بعدها، وأسباب نزولها، ومقاصدها.
- **المبحث الأول:** البيان الوصفي.
  - **المطلب الأول:** التَّحليل الإجمالي للآيات (المطففين 1-6) وحقيقة التَّطفيف.
  - **المطلب الثَّاني:** من أسرار آيات (البيان).
- **المبحث الثَّاني:** مآل الفجَّار.
  - **المطلب الأول:** التَّحليل الإجمالي للآيات (المطففين 7-16).
  - **المطلب الثَّاني:** من أسرار آيات (الفجَّار).
- **المبحث الثَّالث:** مآل الأبرار.
  - **المطلب الأول:** التَّحليل الإجمالي للآيات (المطففين 18-28).
  - **المطلب الثَّاني:** من أسرار آيات (الأبرار).
  - **المطلب الثَّالث:** فريقا الآخرة في ظل السِّياق الكلي للقرآن الكريم.
- **المبحث الرَّابع:** فريقا الآخرة، ومشهد التَّبَدُّل.
  - **المطلب الأول:** التَّحليل الإجمالي للآيات (المطففين 29- 36).
  - **المطلب الثَّاني:** المشهد الأخير وبلاغة الصُّورة المرئيَّة.
- الخاتمة، وفيها بيان لأهم ما توصَّل إليه الباحث من نتائج.

المبحث التَّمهيدي.

سورة المطففين هي السُّورة الثَّالثة والثَّمانون بعد (سورة الانفطار)، وعدد آياتها ست وثلاثون آية. وقولنا: (سورة المطففين) بمثابة العلم لهذه السُّورة الكريمة، فهو اسم توقيفي لها، هكذا جاء في المصاحف كلِّها، وفيما ورد إلينا من كلام الصَّحابة ـ ﷺ ـ كقول ابن عبَّاس: "نزلت سورة المطففين بمكة"[1]، وسمَّاها بعضهم بما دلَّ عليه موضوعها الأساسي؛ كالبقاعي الَّذي يسميها في كتابه نظم الدُّرر (سورة التَّطفيف)[2]، وكذلك أشار بعضهم بما جاء في أولها من كلمات، فظنَّ

(1) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: د. عبدالله التركي، مركز هجر، القاهرة، ط1، 1424هـ، ص288/15

(2) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404هـ، ص 310/21

كثيرون أنَّها أسماء أخرى للسُّورة، إلّا أنَّها أوصاف لا أسماء، بدليل قول ابن عبَّاس صاحب المقولة الأولى (سورة المطففين) في حديثه عن أسباب نزولها: "...فنزلت ويل للمطففين"[3] مشيرًا إلى أول ما جاء فيها.

مناسبة السُّورة لما قبلها ولما بعدها.

ختمت (سورة الانفطار) قبلها بقوله تعالى:)**يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ)** سورة الانفطار:19، يوم يسكن المؤمنون دار النَّعيم، ويسكن الأشقياء جهنَّم، دار الجحيم، إذ كان لابدَّ من أن يحقَّ الله الحق ويقتص ممَّن ظلم وطغى، "ولا يتخيَّل عاقل أن أحدًا يربي أحدًا من غير سؤال عمَّا حمَّله إيَّاه وكلَّفه به، ولا أنَّه لا ينصف بعض من يربيهم من بعض، واسمها التَّطفيف أدل ما فيها على ذلك"[4]، وكذلك حين ختمت سورة (المطففين) بنعيم مَن آمن وعدل، وجحيم من كفر وطغى، ابتدأ ﷻ سورة (الانشقاق) بعدها بالقسم على ذلك الأمر **(إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)** سورة الانشقاق:1[5].

أسباب نزول السُّورة ومكانه.

اخْتُلِف في سورة (المطففين)، أهي مكيَّة، أم مدنيَّة؟ أم كان بعض آياتها مدنيًّا والآخر مكيًّا؟ فقد رأى جماعة كـ. ابن مسعود والضَّحاك ومقاتل ـ أنَّها مكيَّة، ورأى آخرون كـ. ابن عبَّاس (في رواية)، وعكرمة والحسن والسدي ـ أنَّها مدنيَّة، وفي رواية أخرى عن ابن عبَّاس أنَّها مدنيَّة إلَّا ثمان آيات في آخرها، كما ورد عن الكلبي وجابر بن زيد أنَّها نزلت بين مكة والمدينة[6].

وقد احتَجَّ من رأى أنَّها مكيَّة على مكّيتها بذكر الأساطير فيها، إذ قال الله تعالى فيها: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ (المطففين: 13)، كما ذُكِر فيها خصوم الإسلام من الكفـّار، وأنَّ أمر التَّطفيف كان كذلك في مكَّة، وفي كلِّ أمَّة[7].

فأمَّا قولهم بأنَّها مكيَّة؛ لذِكْر الأساطير فيها، فيمكن ردُّه بأنَّ المطففين قد شابهوا الكفَّار في إنكار البعث؛ إذ لو كانوا مؤمنين به لخافوا وعيد يوم عظيم وعدلوا في معاملاتهم.

وأمَّا قولهم بأنَّ التَّطفيف لم يكن بالمدينة وحدها، فقد كان بمكة وفي كلِّ أمة؛ فإن أحدًا لا ينكر وجود المعاصي في كلِّ أمة، لكن نزول الآيات وإرسال نبي في أمةٍ يكون بسبب تفشي بعض المعاصي بعينها في الأمَّة عينها، كما هو الحال في أهل (مدين) الَّذين تفشى فيهم الغش في الكيل والميزان، فالعلَّة تكون بسبب تفشي الظَّاهرة، لا بوجودها في أفراد شذُّوا عن أمَّتهم.

كما أنَّ ذكر الكفَّار في سورة (المطففين) يؤكد أنَّ قضية الكيل والميزان ليست بمعزل عن قضية العدل الكبرى، وإقامته في الحياة الدُّنيا، وبالتَّالي لا يمكن فصلها عن الإيمان بالله ـ ﷻ ـ وبالبعث والثَّواب والعقاب؛ إذ إنَّ التَّشريع ما كان إلَّا لمن آمن، الأمر الَّذي جعل للتَّطفيف حظ التَّشريع الأول في المدينة، لما له من أثر جلي في تقويض القلب وتآكل الإيمان منه؛ ولأنَّه سبب عظيم في وقوع العداوة والبغضاء بين النَّاس، وهو ما يستحيل معه إقامة أمَّة متماسكة مترابطة، إذ المجتمع الأول للمسلمين ما كان له أن يقوم بغير دعامة المحبة والتَّآخي، ولعلَّ في ربط مَن قالوا بمدنيَّة السُّورة بين موطن

(3) الواحدي، أسباب النزول، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1412هـ، ص 289/1

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص 310/21

(5) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص 335/21

(6) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، السَّداد التونسية، تونس، 1984م، ص 187/30

(7) ينظر: الأندلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز، دار ابن حزم، ص 1955

نزولها وسببه ما يدعم ميلنا لهذا الرَّأي؛ فقد ورد عن (الكلبي) قوله: **"قدم رسول الله ﷺ. المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لأنفسهم، فنزلت الآيات، فخرج ﷺ. فقرأها عليهم"**[8].

بل إنَّ السدي يزيد الأمر تأكيدًا بذكر أحد رجال المدينة ممَّن يسيئون الكيل الَّذي وُجِّه إليه حديث النَّبي ﷺ. وهو "رجل يُسمَّى أبا جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما للغير ويكال بالآخر لنفسه" [9].

وأيضًا ما ذكر عن ابن عبَّاس قال: لما قدم رسول الله ﷺ. المدينة، كانوا من أبخس النَّاس كيلًا، فأنزل الله وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) سورة المطففين: 1، فأحسنوا الكيل بعد ذلك"[10].

وكما ورد. كذلك. في أسباب النُّزول للواحدي، أنَّ أول سورة نزلت مدنيَّة (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ)سورة المطففين:1[11].

أَضِف إلى ذلك كون هذه السُّورة (المطففين) لا تُعَدِّدُ الأدلة والبراهين السَّاطعة على وجوده تعالى وقدرته على إمكان البعث والحساب على طريقة السُّور المكيَّة، إنما جاءت وصفًا لما سيحدث بالفعل يوم القيامة، لا خطاب من يريد إقناعهم بالبعث والحساب.

مقاصد السُّورة.

اسْتُهِلَّتْ السُّورة الكريمة بتهديد ووعيد المطففين في الميزان والمكيال، مَن يستبيحون حقوق النَّاس، ويأكلون ما حرم الله، ثمَّ ما أعدَّه سبحانه لهؤلاء الظَّالمين مِن عذاب، فتصف ألوان العذاب والحرمان للفجَّار الطُّغاة، مَن كذبوا بالبعث والحساب، تصديقًا لوعيده لهم سبحانه وتعالى.

ثمَّ تصف بعد ذلك أحوال المؤمنين الأبرار الموفين للحقوق، وما أُعِدَّ لهم من نعيم في دار الخلد.

ثمَّ تعقد السُّورة مقارنة بين الفجَّار وأهوالهم، وبين الأبرار وسمو مقاماتهم، وإعلان تكريمهم بين ملائكته والمقربين، وكيف تبدَّلت أحوال الفريقين عمَّا كانت عليه في الدُّنيا الزَّائلة؛ حيث كان الفجَّار الظَّالمون. في الدُّنيا. يسخرون من الأبرار ويلمزونهم، أمَّا في دار الخلد **(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)**سورة المطففين: 34، بفضل الله. ﷻ. وإنعامه على عباده المؤمنين؛ جزاء ما صبروا في الدُّنيا وكانوا يحسنون[12].

المبحث الأول: البيان الوصفي.

إذا كان ترتيب السُّور والآيات أمرًا توقيفيًّا، فإنَّه من التَّقصير تفسير السُّورة من القرآن بمعزل عن سياقها، عمَّا قبلها وما بعدها من السُّور، أو بمعزل عن سياقها داخل النَّظم الكلي للقرآن الكريم؛ فآيات الكتاب يفسر بعضها بعضًا، فما كان مجملًا في موضع فُصِّل في موضع آخر، وما قُيِّد في موضع أُطلِق في غيره[13]، وكذا في ضوء أحاديث النَّبي ﷺ. المفسرة لآي القرآن العظيم، ومن هنا كان لابدَّ من الدخول إلى سورة (المطففين) من سورة (الانفطار) الَّتي سبقتها مباشرة، فما بالنا إذا علمنا أنَّها تحدثنا عن مصير (الفجَّار) المكذبين بالدِّين، ومصيرهم الجحيم، قال تعالى:) **كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ)**سورة الانفطار: 9، وقال تعالى: **(وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)** سورة الانفطار: 14، كما تحدَّثنا عن (الأبرار) ونعيمهم، قال تعالى: **(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)**سورة الانفطار: 13.

(8) ينظر: البيضاوي، حاشية محي الدِّين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ضبَّطه وصحَّحه وخرج آياته: محمَّد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1419هـ، ص 535

(9) البيضاوي، حاشية محي الدِّين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ص 535

(10) النيسابوري، المستدرك على الصَّحيحين، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، ص 38/2

(11) ينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص12

(12) ينظر: القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبدالله الأنصاري، المكتبة العصريَّة، 1412هـ، ص 123/15

(13) ينظر: الحسن، المنار في علوم القرآن، قدَّم له :الدكتور: محمَّد الخطيب، مؤسَّسة الرِّسالة،، بيروت، ط1، 1421هـ، ص 228

فالمكذبون قد غرَّهم بالله الغرور، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)** سورة الانفطار:6، وظنُّوا الحياة الدُّنيا لهوًا ولعبًا، ونهايةً لمطاف النُّفوس، لكن آيات الحق جازمة بيوم الدِّين، قال تعالى: **(يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ)**سورة الانفطار: 19.

يقول البقاعي في مناسبة سورة (المطففين) لما قبلها (سورة الانفطار): "مقصودها شرح آخر الانفطار، بأنَّه لابدَّ من دينونة العباد يوم التَّناد، بإسكان الأولياء أهل الرَّشاد دار النَّعيم، والأشقياء أهل الضَّلال والعناد غار الجحيم"[14].

إذن، فسورة (المطففين):

أولًا: وصف وبيان لـ (يوم الدِّين) الَّذي اختتمت به سورة الانفطار.

ثانيًا: هي تفصيل لما أُجمل للفجَّار من (جحيم) وما أجمل للأبرار من نعيم في سورة الانفطار.

ثالثًا: بيان لحقيقة الأبرار والفجَّار.

رابعًا: هي تنبيه للنَّفس (المغترة بربها)، الَّتي تقع في تلبيس أحوال الدُّنيا الزَّائلة، فتظن الذَّنب العظيم هينًا، إذ قد يظن من ظاهر الذَّنب أنَّه قابل للعفو والصَّفح، لكنَّ باطنه دال على خبث النَّفس وتكذيبها بيوم الحساب، وعدالة الخالق ـ ﷻ ـ وسورة المطففين تسوق لنا ذنبًا عظيمًا من تلك الذُّنوب(التَّطفيف)، ذلك الذَّنب الَّذى تفضح حقيقته بواطن أصحابه، حتَّى وإنْ لهجت ألسنتهم بكلمات الإسلام والإيمان، واعتادت جوارحهم صنيع أهل الحق من عبادات، إلّا أنَّها محض رياء، فلو صدقوا مع الله ـ ﷻ ـ ما ظلموا وما خانوا وما أُطعموا حرامًا، ففي ما يصنعون دلالة بينة على تكذيبهم بيوم الحساب وعدالة الله تعالى، فجزاؤهم جزاء من أعلن الكفر والعدوان.

المطلب الأول: تحليل الآيات (المطففين 1-6) وحقيقة التَّطفيف.

قال الله ـ ﷻ ـ: **(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)** سورة المطففين: 1 – 6.

تبدأ السُّورة بحسن استهلال وإعلان حرب، فـ **(وَيْلٌ)** وعيد وتقريع ودعاء بسوء الحال للمطففين[15]، فـ(الويل) اسم يقال عند وقوع البلاء[16]، وقيل: هو عذاب يوم القيامة، وقيل عن ابن عباس: هو واد في جهنَّم[17]، والمراد به: الزَّجر عن فعل التَّطفيف، وهو "نقص المكيال والميزان... وإنَّما سمِّي بذلك؛ لأنَّ الَّذي ينقصه منه يكون طفيفًا"[18]؛ أي: هيّنا قليلًا، فالطفاف هو ما كان فوق المكيال أو الوزن، أخذ من طفاف الإناء، أي: أعلاه، أو مِن طَفِّ الشيء، أي: جانبه[19].

والتَّطفيف لا يختصُّ بمعاملات البيع والشِّراء فحسب، بل يدخل في كلِّ شيء، مثلما ذكر الإمام مالك في الموطأ: "يقال لكلِّ شيء وفاء وتطفيف"[20]؛ إذن هو في "الكيل والوزن والوضوء والصَّلاة والحديث"[21]، وفي كلِّ شؤون المعاملات، مع الله ومع النَّاس والنَّفس، لذا نصح الإمام عليٌّ ولده الحسن ـ ﷺ ـ بأن يجعل من النَّفس ميزانًا عادلًا في معاملاته مع الَّناس، يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ولا يقول لهم ما لا يحب أن يسمع[22]، كأنَّ علاقة الإنسان

(14) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص 310/21

(15) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 189/30

(16) ينظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، ط1، 1401هـ، ص 88/31

(17) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. عبد الله التركي وآخرين، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1427هـ، ص 129/22

(18) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، 1399هـ، ص 405/3

(19) ينظر: ابن منظور، لسان العرب. مادَّة: طفف، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

(20) ابن مالك، الموطَّأ، تحقيق: الدكتور: بشَّار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1997م، ص44/2

(21) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 130/22

(22) ينظر: الرضي، الشريف، نهج البلاغة، تحقيق: الشَّيخ قيس العطار، مؤسَّسة الرَّافد، ط1، 1431هـ، ص 528

بالآخر كفَّتا ميزان، فإنْ رجحت إحداهما فَقَدْ وقع التَّطفيف، وكأنَّ عليًّا ـ ﷺ ـ يدل ابنه، وكل مخاطَب على شرط من شروط تحقيق الإيمان، وكأنَّه ـ كذلك ـ بيان لقول النَّبي ـ ﷺ ـ: **"لا يُؤمنُ أحدكم حتَّى يحب لأخيه ما يحبُ لنفسِه"**[23].

وممَّا يدلُّ على عموم المعنى، لا خصوصيته فحسب، قوله تعالى: **(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)** سورة الرحمن: 7 - 9، فالميزان يراد به العدل، كما في قوله تعالى: **(وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)** سورة الحديد: 25؛ من أجل إقامة نظام الكون، وإذا كان هذا شأن العلم العلوي؛ فقد فرض الله على عباده تجنب الطغيان[24].

أمَّا قوله تعالى: **(الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)** سورة المطففين: 3.2، فالآيتان وصف وبيان للمطففين في حالتي البيع والشِّراء، الأخذ والعطاء، فحين (يكتالون) أي: يقبضوهم ويأخذون من النَّاس يستوفون حقهم كاملًا، **(وَإِذَا كَالُوهُمْ)**، أي: أقبضوهم أوقعوا الخسران عليهم[25].

وقوله تعالى: **(أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)** سورة المطففين:6.4، فالآية الرَّابعة اتَّخذها ابن عطية الأندلسي دليلًا على مدنيَّة السُّورة، إذ يخاطب الله ـ ﷻ ـ قومًا مؤمنين، والظَّن هنا بمعنى التَّحقق والعلم[26]، كما في قوله تعالى: **(الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)** سورة البقرة: 46، فهم مؤمنون بالبعث والحساب، وهم أولى بتحقيق العدل في الأرض. لكنَّ الله ـ ﷻ ـ لم يذكر بدلًا من **(يَظُنُّ)** لفظًا يدلُّ على اليقين؛ لأنَّ الإيمان ترجيح لوقوع الأمر دون أن تتحقق شواهد العلم عليه.

وقوله تعالى: **(لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)** هو يوم القيامة وإقامة الميزان لمحاسبة النَّاس على أعمالهم، و(اللام) هي لام الغاية، إذ الغاية من إقامة النَّاس حينًا في الدُّنيا الزَّائلة والابتلاء فيها هي دار الخلود، وجاءت (يوم) نكرة؛ لتهويله، وتفزيع نفوس أولئك الظالمين لمراجعة أنفسهم ليقيموا العدل، فهو يوم **(عَظِيمٍ)** لعظم ما يكاشف النَّاس عليه، وما فيه من فزع وأهوال وتباين مصائر النَّاس. ولئن تفرقت السُّبل في الدُّنيا؛ فليس في الآخرة سوى مقصد واحد، هو ربُّ العالمين؛ **(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)**يوم يبعثون لمحاسبة رب العالمين فيجازيهم، حينها ينكشف لهم فداحة (التَّطفيف) الَّتي كانوا يهوِّنون من شأنها[27].

المطلب الثَّاني: من أسرار الآيات (المطففين 1-6).

للقرآن الكريم نظم معجز، فعزَّ من قائل: **(الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)** سورة هود:1، وقد اجتهد نفر من القدماء؛ كـ(الزَّمخشري، وابن عاشور) في الكشف عن بلاغة القرآن الكريم المعجزة، لكن دراسة كتاب الله ـ ﷻ ـ وكشف بلاغته آية آية أمرٌ عسير، وفي هذا المطلب نستعين بالحكيم البديع في كشف بعض من أسرار سورة المطففين البلاغيَّة.

أولًا: السِّياق وبلاغة المفردات.

1. براعة الاستهلال بكلمة **(وَيْلٌ)** وتنكيرها، لإفزاع المذنب وتحقيره[28]، وتهويل الذَّنب؛ إيقاظًا للنَّفس الغافلة.
2. في قوله تعالى: **(يُخْسِرُونَ)** دلالة تستوعب شمولية (التَّطفيف) في المعاملات والعبادات وغيرها، فهي أوفى في موضعها من (ينقصون)، إذ الخسارة تقع في المادِّي، والعاطفي، وفي الصَّلاة، والحديث، والعلاقات الإنسانيَّة وغير ذلك، أمَّا

(23) البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ، ص 1/ 12

(24) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 27/337،338

(25) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ص 1956

(26) ينظر: المصدر السَّابق، ص 1956

(27) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ص 31/91

(28) ينظر: سلامة، محمد، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، ط1، 1423هـ، ص396

قوله: (تنقصوا) فقد جاءت في قوله تعالى: **(قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ)**سورة هود:84، نزلت إلى مدين، وكانوا يسرقون النَّاس (المشترين) في المكيال والميزان، حتَّى اعتادوا الأمر وظنوه براعة في التَّاجر، فالتَّطفيف في آية هود في الموزون والمكيل فحسب، المادي دون غيره، بدليل الآية بعدها:) **وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**(سورة هود: 85، فكلمة **(أَشْيَاءَهُمْ)** تؤكد أنَّ المقصود السَّرقة في (الأشياء) المادِّية الَّتي توزن وتكال فحسب، فهو معنى خاص بالسَّرقة الماديَّة في الكيل والميزان، أمَّا هنَّا في سورة المطففين فالمعنى عام، وقد ناسبته كلمة **(يُخْسِرُونَ)** لدلالته على الإجحاف، والظلم المادِّي، والمعنوي، والعبادات، وغيرها.

ثانيًا: بلاغة الاستفهام.

في قوله تعالى: **(أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ)** دخلت همزة الاستفهام على (لا) النَّافية؛ لتفيد إنكار انتفاء (ظن) المطففين، والتَّعجب من أمرهم على (المشاكلة)، فهم في أيسر الحالين إنْ لم يكونوا موقنين بالبعث والحساب، فلا ينكر وقوع (الظَّن) في صدورهم، وفي هذا تقريع لهم؛ لأنَّ مجرَّد (الظَّن) وترجيح حدوث البعث والحساب كفيل لهم بأنْ يعدلوا ولا يظلموا النَّاس، إذ إن مجرَّد (الظَّن) كاف لوقوع الخوف في القلب من ربِّ العالمين.

ثالثًا: بلاغة الحذف.

1. في قوله تعالى: **(وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)** فالضَّمير في **(كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ)** ضمير نصب مفعول به عائد إلى النَّاس، وقد حذف حرف الجر (اللام)، إذ إن أصل الاستعمال (كالوا لهم أو وزنوا لهم)[29]، وفي ذلك تسلُّط للفعل وصاحبه على (النَّاس)، وكذلك في قوله: **(يُخْسِرُونَ)** حذفٌ للمفعول به، ما يكال أو ما يوزن، وفي ذلك إفادة للشُّمول، أي: قليلًا كان أو كثيرًا، ماديًّا أو معنويًّا.

- في قوله تعالى: **(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)** فالتَّقدير: يوم يقوم النَّاس لحكم ربِّ العالمين، فحذف المضاف (حكم)، ومجيء حرف الجر على المضاف إليه (رب)؛ فيه إثارة لمشاعر أولئك المطففين، إذ كان عليهم طاعة رب العالمين، حتَّى وإن خلا الأمر من (حكم/ وعذاب)؛ ليكون مجيء الجار على المضاف إليه (رب)؛ تذكيرًا لهم بفضله عليهم، إذ الربوبيَّة تعني تولي أمرهم؛ من إطعام ورعاية، وغيره، بخلاف لفظ الجلالة (الله)، وما فيه من معاني الألوهيَّة والجبروت والحساب.

رابعًا: بلاغة الذِّكر.

1. في قوله تعالى: **(الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ)** إذا كان هؤلاء يستوفون حقَّهم من البائع دون إكراه أو زيادة، فلِمَ ذكرت هذه الصِّفة ولم يقع منهم ضرر على الغير؟ فالذِّكر هنا يؤكد أنَّ الأمر هنا لا يخص عملية الكيل والميزان فحسب، إنَّما سلوكهم الدَّال على الأثرة في كلِّ حال مع الغير، فَذِكْر هذه الصِّفة يؤكد عدم استواء كفتي الميزان مع النَّاس، إذ عند (القبض) يشاركون الآخر فيما يختص به؛(إذ الكيل والوزن على البائع)، إذن، فالذِّكر لإظهار أنويَّة نفوسهم وشحها، في حين كان الفوز في تطهير النَّفس من الأثرة والشح، يقول تعالى: **(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** سورة الحشر: 9.
2. وفي ذات الآية السَّابقة[30] لم يذكر (القبض) إلَّا بالكيل، فلم يقل: (اكتالوا واتزنوا)، إذ إنَّ الاكتيال فيه إمكانية الزِّيادة في طفاف الإناء، أمَّا (الوزن) فهو مقياس أو مقدار ثابت في كلِّ أمة، فهم:

أولًا: يأخذون بالمكيال الَّذي يمكنهم به الاستيفاء، بل والزِّيادة أحيانًا.

(29) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص191/30

(30) قوله تعالى: **(الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ)**.

ثانيًا: إذا كانوا يخسرون النَّاس في الوزن في قوله تعالى: **(وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)**، والوزن مقدار ومقياس ثابت ومعاين، فما بالنا بما هو خفي في النَّفس لا تعاينه الأبصار؟!

خامسًا: بلاغة المقابلة.

في قوله تعالى: **(الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)** فيه مقابلة بين فعلي الشَّرط **(اكْتَالُوا)** و **(كَالُوهُمْ)** وجوابي الشَّرط **(يَسْتَوْفُونَ)** و **(يُخْسِرُونَ)** [31]، وفيهما عقد موازنة بين ما لهم وما عليهم، فكلَّما كانوا في موضع (قبض) من الغير استوفوا حقهم كاملًا، وكلَّما كانوا في موضع (إقباض) لغيرهم أخسروهم، والموازنة هنا تجسد أنويَّة النَّفس وشحها، إضافة إلى أنَّ جواب الشَّرط يتحققَّ بتحقق الشَّرط، فكلَّما اكتالوا استوفوا، وكلَّما كالوا أو وزنوا للغير أوقعوا الخسارة على النَّاس.

سادسًا: بلاغة العدول في التَّركيب.

في قوله تعالى: **(الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ)** فـ" لما كان اكتيالهم من النَّاس اكتيالًا يضرهم ويتحامل عليهم أبدل (على) مكان (مِن) للدَّلالة على ذلك"[32]، فأصل الاستعمال أن يقال: (اكتالوا من النَّاس)، لكن حرف الجر (على) جاء في موضع (من)، و(على) تدلُّ على الفوقيَّة والاستعلاء، وفي ذلك دلالة على تسلُّط المطففين على من يبتاعون منهم، ويتأكَّد التَّسلط من صيغة الفعل (اكتال)، كما سيأتي[33].

سابعًا: الصِّيغة الصرفيَّة، ولطائف المعاني.

1- في الآية السَّابقة[34] جاء الفعل (اكتال)، وهو ثلاثي مزيد بحرفين، على وزن (افتعل)، وهي صيغة تدلُّ على معانٍ فيها كـ التَّشارك، والاتخاذ، والمطاوعة، والتَّصرف، والاختيار، والاضطراب في تحصيل الفعل[35]، (فاكتالوا) تدلُّ على (مشاركة) المطففين مَن يبيع لهم في الفعل، في حين أنَّ الفعل يكون على البائع، و(مطاوعة) البائع لهم تتم بمهارة المطففين، واحتيالهم و(تصرفهم) الَّذي يوقع البائع في (اضطراب) تحصل به المطاوعة؛ إمَّا بسيف الحياء، أو الحيلة الَّتي تنطلي عليهم.

فالمطففون في حالة الشِّراء يشاركون البيع في الاكتيال، أمَّا في حالة البيع فالفعل مجرَّد **(كَالُوهُمْ)** و **(وَزَنُوهُمْ)** ينفردون بالفعل، ولا يسمحون للمشتري بمشاركتهم ليتمكَّنوا من إيقاع الظلم به.

2- كلمة **(لِلْمُطَفِّفِينَ)** اسم فاعل من الفعل (طفَّف)، ولا يُعرَف لهذا الفعل ثلاثي مجرد، كأنَّ الفعل اختصَّ بالتَّضعيف[36]، ولهذه الصِّيغة (فعَّل) معان منها: التكثير، والتَّعدية، والقيام على الشَّيء، وعلى التَّوجه، ومشابهة الفاعل لما أخذ منه[37]، واسم الفاعل الذي أُخِذ من تلك الصِّيغة يتمتَّع بذات المعاني، فالمطفِّف اعتاد الفعل وأشبه الفعل الَّذي أُخِذ منه (طفَّف)، ما يدلُّ على الطَّمع والأثرة وكثرة الإتيان له، ولأثرة في نفسه يتولى (القيام على الشَّيء)؛ ليتمكَّن من الاستحواذ عليه، وإيقاع الظلم والخسران على الآخرين.

---

(31) ينظر: سلامة، محمد، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص395

(32) الزمخشري، الكشاف، اعتنى به: خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م، ص 1186

(33) ينظر هذا البحث: 13

(34) قوله تعالى: **(الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ)**.

(35) ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1982 م، ص 73.75

(36) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص189/30

(37) ينظر: ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق: د. فخر الدِّين قباوه، دار المعرفة، بيروت، 1987م، ص1/ 188.189

3- قوله تعالى: (**يَسْتَوْفُونَ**)أصله استوفى، على وزن (استفعل)، وهو فعل ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف دالة على الطَّلب، والإصابة، والتَّحول من حال إلى حال، وبمعني تفعَّل[38]، أي: المبالغة في الفعل، وكلها معانٍ تدلُّ على جشع وتسلُّط المطفف، والمبالغة في طلب حقِّه كلَّما كان في موضع (قبض).

المبحث الثَّاني: مآل الفجار.

المطلب الأول: تحليل آيات الفُجَّار(المطففين7-17).

قال الله تعالى:) **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)**سورة المطففين: 7 – 17.

في قوله تعالى:) **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**) جواب قاطع للسؤال في الآية الرَّابعة (**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ**)، وتخطيء لظن أولئك المطففين؛ فقوله تعالى:) **كَلَّا**) ردع لهم عن التطفيف، وما هم فيه من غفلة عن البعث والحساب[39]، وفي قوله تعالى: (**إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**)عدول عن وصفهم الأول (بالمطففين) إلى وصفهم بـ (**الْفُجَّارِ**)؛ وهو ما جعل الطَّبري وغيره من المفسِّرين يفسرون (**الْفُجَّارِ**) بالكفَّار[40]؛ لأنهم ينكرون ما عُرِف من الدِّين بالضَّرورة، إذ (يكذبون) القول بالبعث والحساب، ويعتادون التَّعدي على حدود الله ـ ﷻ ـ فكتابهم في سجِّين.

والكتاب قد يكون اسمًا لما هو موضع الكتابة المؤلَّف من صفحات، أي: السِّجل، أو الصَّحيفة، وقد يكون مصدرًا، أي: الكتابة، تقول: كتب كتابة وكتابًا، وهو بذلك بمعنى اسم المفعول، أي: المكتوب، سواء أكان أقوالًا أم أفعالًا، أم نفسًا خبيثة مطبوعة بذاك السِّجل، و (**سِجِّينٍ**) قد تكون عَلَمًا، أو صيغة مبالغة (فِعِّيل) مثل: سِكِّير، وهو مكان ضيق، أي: السِّجن الَّذى تغل وتُحْجَب فيه النُّفوس الخبيثة، أو الأرض السُّفلى[41] الَّتي تناسب تلك الأنفس؛ يدلُّ على ذلك موضع النَّفس الطَّيبة (عليين) كما سيأتي[42].

إذن، فقد عدَل الله ـ ﷻ ـ عن وصفهم بالمطففين إلى (**الْفُجَّارِ**)، إذ هو وصف عام يشمل المطففين وغيرهم من الكفَّار المشركين؛ نظير قوله تعالى: (**أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ**(سورة عبس42[43].

وفي قوله تعالى: (**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ**) استفهام فيه تهويل لشأن(السِّجِّين)[44]، والمخاطَب هو النَّبي ـ ﷺ ـ وكلُّ مَن يقع عليه التَّكليف ويُبَلَّغ بالآيات، فأيُّ شيء أدْرَاكَ حقيقة ذلك الكتاب، أو (السِّجِّين) وما فيه من أهوال.

وفي قوله تعالى: (**كِتَابٌ مَرْقُومٌ**)، أي: مدوَّن فيه كلُّ الأفعال والأقوال، وهذه الآية جواب على الاستفهام قبلها.

وفي قوله تعالى: (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**)، فالويل والعذاب لمن كذَّب بهذه الآيات، أولئك الَّذين يكذبون بالبعث والحساب والمجازاة، إذ لا يكذب بيوم الحساب إلَّا من اعتدى على الله في قول أو عمل وعصى أوامره وأتى نواهيه، فهو أثيم بربِّه[45].

---

(38) ينظر: المصدر السَّابق، ص1/ 189.188

(39) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إعداد وتقديم: محمَّد المرعشلي، إحياء التُّراث العربي، بيروت، ص 194/5

(40) ينظر: الطبري، جامع البيان، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، ط1، القاهرة، 1422هـ، ص193/24، وينظر: ابن حيان، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص 432/8

(41) ينظر: الطبري، جامع البيان، ص 193/24

(42) ينظر هذا البحث: 24

(43) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 194/30

(44) ينظر: المصدر السابق، ص 195/30

وفي قوله تعالى: (**الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**) تفصيل لما قبله من إجمال: (**لِلْمُكَذِّبِينَ**) ؛ وفيه تهديد وتحذير للمطففين من المسلمين، حتى لا يستخفوا بالتَّطفيف فيكونوا بمنزلة مَن كذَّب وكفر[46]، فهؤلاء المطففون يكذبون الشرع بشِقَّيه من أوامر ونواهٍ، في نفوسهم، حتَّى وإنْ لهجت ألسنتهم بالشَّهادة وكلمات الإيمان.

وفي قوله تعالى: (**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**) فإن استمر المطفف على ما هو عليه بعد نزول هذه الآيات، وغرَّته نفسُه بالإفلات من العذاب، فهو المعتدي الأثيم، المكذِّب لحجج الله ـ ﷻ ـ وآياته الَّتي أنزلها على محمَّد ـ ﷺ ـ و (**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ**)، أي: قال في نفسه عنها (**أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[47]، لكن حاشا لله ـ ﷻ ـ أن تكون، فهو وحي مُنزَّل من الله ـ ﷻ ـ على خاتم المرسلين.

هذا يؤكد أنَّ الخطَّ البياني في السُّورة الكريمة ـ إلى الآن ـ خط واحد يُرَاد به المطففون، كلُّ ما هنالك أنَّه قد أدخل الخاصَّ في العام، فمن استمرَّ في إثمه وعدوانه بعد نزول هذه الآيات، فجزاؤه جزاء من كفر، وكذب بآيات الله ـ ﷻ ـ ألم يقل الحق في كتابه العزيز: (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**)سورة المائدة: 44؟

قد ذهب بعض أهل التأويل إلى أنَّه قد عُنِيَ بالكفر في الآية اليهود الَّذين حرَّفوا كتاب الله وبدَّلوا حكمه، وذهب آخرون إلى أنَّهم من أهل الإسلام ممن خالف كتاب الله ـ ﷻ ـ متعمدًا[48]، إلا أنَّ حديث نبينا الكريم في شأن الغشِّ جليٌّ واضح، حين مرَّ على صاحب الصبرة من الطَّعام، وكان يخفي ما فيه من بلل في أسفل الوعاء، فأمره بأنْ يجعله فوق الطَّعام ليراه النَّاس على حقيقته دون غش، ثمَّ قال: "**ألَا من غشَّنَا فَلَيس مِنَّا**"[49].

وفي قوله تعالى: (**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**)، فقوله: (**كَلَّا**) ردع لكلِّ معتد أثيم مُصِرٍّ على طغيانه، وظلمه للنَّاس[50]، والـ (**رَانَ**) يشمل الخاص والعام، يشمل الكافر بيِّن الكُفْر، وكذلك المسلم المكذِّب لحكم الله ـ ﷻ ـ، فهؤلاء قد فسدت عقولهم، ووقعوا في التَّلبيس، فمن يُصِرُّ على الكبائر يركَبُ قلوبَهم الصَّدأ ويغلب عليها، يظل يُسَوِّف التَّوبة حتَّى لا يقبل قلبه الخير[51]، إذ تفسد مقاييس حكم عقله، فقد جعل إلهه هواه، وتبع عقلُه قلبَه المريض، بخلاف المؤمن الَّذي يرى قلبُه بنور الحقِّ، فالقلوب في الآية هي مجال الإدراك؛ تَصِحُّ بالطَّاعة، وتفسد بالمعصية.

وفي قوله تعالى: (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**) عقاب هؤلاء المسرفين المكذبين ويل، وهذا الويل عذابات ثلاث، إهانة وحرمان، ثمَّ عذاب، ثم تقريع؛ **فالأول:** هم محجوبون عن رؤية وجه ربِّهم، أو رؤية ما في الجنان من نعيم، **والثَّاني:** أنَّهم يصلون الجحيم، **والثَّالث:** التَّقريع بأنْ يعاتَبوا في جهنَّم وهم يعذبون بأنَّ هذا العذاب هو ما كنتم تكذبون به[52]، فأمَّا دلالة أنَّ الحجاب يُرَاد به حرمانهم من رؤية الجنَّة قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**) سورة الأعراف: 40، وفي آية الأعراف السَّابقة ـ كذلك ـ دليل على أنَّ (**سِجِّينٍ**) سفلي المواضع، إذ (**لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ**)، وأمَّا دلالة الحجاب على حرمانهم من رؤية الله ـ ﷻ ـ، ففي قوله عز شأنه:) **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) سورة آل عمران:77.

---

(45) ينظر: الطبري، جامع البيان، ص 198/24

(46) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 196/30

(47) ينظر: المصدر السَّابق: 199/30

(48) ينظر: الطبري، جامع البيان، ص 464/8

(49) مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربي، ص 69/1، والترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 247/1

(50) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 1187

(51) ينظر: المصدر السَّابق، ص 1188

(52) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 201.200/30

المطلب الثَّاني: من أسرار آيات الفُجَّار(المطففين7-17).

إذا كانت البلاغة هي البيان والإفهام؛ فهي ضرْبٌ في آفاق بعيدة وعميقة من المعاني، وأسرارٌ وقدرةٌ كامنة في اللَّفظ والتَّعبير والصُّورة؛ تؤهلها لاحتمال نشاطٍ خصيب من التَّأويل، وفيما يأتي بعض أسرار الآيات؛ من دلالة ألفاظٍ، وأساليب كاستفهام وعطف وقصر، وغيرها ممَّا يهدي إلى معرفة حقيقة (المطففين/الفجَّار) في السُّورة الكريمة، ومصيرهم يوم الدِّين.

أولًا: السِّياق، وبلاغة الكلمة.

1- كلمة **(سِجِّينٍ)** من صيغ المبالغة على وزن فِعِّيل، مثل: سِكِّين، وبِطِّيخ، وفِسِّيق، وسِكِّير، وهي دالة على الحبس والضِّيق الشَّديد، وعلى الأرض السَّافلة[53]، و"كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثَّقلين"[54]، أو أنَّه "صخرة في الأرض السَّابعة، فيجعل كتاب الفجَّار تحتها"[55]، وغيرها من التَّأويلات، الَّتي كثرت لاتِّكائها على فرضية كونها اسمًا لمكان، غير أنَّها ـ جميعًا ـ استقت من جذرها اللُّغوي (سجن)، وصبَّت دلالتها في معنى رئيس دال على الضِّيق والحبس للجسد والنَّفس، ومن محاسن اختلاف التَّأويل فيها وفي احتمالها لكلٍّ أنْ يقع الفزعُ والتَّهويل من شأن (السجِّين)، كلٌّ حسب ما تصور ونشط خياله إلى ما يجسد معنى الضِّيق والحبس والوضاعة والإهانة.

2- كلمة **(مَرْقُومٌ)**أصل الرقْم الكتابة، قال أوس بن حجر:

سأرقمُ في الماءِ القِراحِ إليكمُ *** على نأيكُم إنْ كانَ للماءِ راقمُ[56]

وقد ذهبت كتب بعض التفاسير إلى أنَّه يعني: مسطور، أو مكتوب دال لمن رآه على أنَّه لا خير فيه[57]، فهو كالرَّقم في الثَّوب لا يُمْحَى[58]، لكنَّ السُّؤال هنا: لماذا جاءت (مرقوم) ولم تأت بدلًا منها (مكتوب) أو (مسطور)؟ والإجابة قارَّةٌ في المعنى المعجمي للكلمة؛ فهي (رقم يرقم رقمًا)[59] تصب دلالتها في حقل من حقول الحساب؛ لتدلُّ:

أولًا: على الإحصاء للأعمال والأقوال.

ثانيًا: الدَّلالة على الثَّبْت اليقيني للأعمال، إذ إنَّ لغة الأرقام دالة على مقدار معين ثابت، بخلاف لغة العاطفة الَّتي تقبل الاختلاف والمراوحة.

ثالثًا: دلالتها على أنَّ أعمالهم وأقوالهم لا يُزاد لأحدهم فيها ولا يُنقَص، **ورابعًا**: دلالتها على الوضوح والبيان (كعلامات التَّرقيم) الَّتي من أهم وظائفها كشف وإيضاح المعنى. وإضافة إلى كلِّ هذا، فهي على وزن اسم المفعول (مرقوم/ مفعول) دال على الثَّبات، وكذلك احتماليَّة تأويل الفاعل؛ أهو الله تعالى؟ أم المكان؟ أم أنَّ أفعال الإنسان وأقواله تنطبع فيه كالرَّقْم أو الوشْم الثَّابت، وما أدراك؟! إذا كانت تكنولوجيا الإنسان الَّتي وصل إليها تثبت المواقف بالصَّوت والصُّورة، فما بالك بقدرة البديع القدير ؟!

ثانيًا: بلاغة الاستفهام.

في قوله تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ)** استفهام، جوابه بعده **(كِتَابٌ مَرْقُومٌ)** وهو مركَّب مِن (ما) الاستفهامية، والفعل الماضي (أدرى) المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل؛ بسبب همزة التَّعدية (من باب أوجد وأعلم) وعلق الفعل عن نصب

(53) ينظر: ابن عصفور، الممتع في التصريف، ص99/1، وينظر: الطبري، جامع البيان، ص193/24

(54) شيخ زاده، حاشية محي الدين شيخ زاده، ضبَّطه وصحَّحه: محمَّد شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1419هـ، ص 538/8

(55) الطبري، جامع البيان، ص197/24

(56) ابن حجر، أوس، ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمَّد نجم، دار بيروت، د.ط، 1980م، ص 116

(57) ينظر: شيخ زاده، حاشية محي الدين شيخ زاده، ص539/8

(58) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ص 141/22

(59) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: مادَّة: رقم.

ثلاثة مفاعيل بسبب (ما) الاستفهامية الثَّانية **(مَا سِجِّينٌ)**، وجملة **(مَا سِجِّينٌ)** في محل نصب المفعول الثَّاني للفعل (أدري)[60]، وجملة **(وَمَا أَدْرَاكَ)** تجرى مجرى المثل: تقول (ما أدراك كذا)، وهذا النَّوع من الاستفهام في القرآن الكريم " متى وكيف وقع المراد منه، إمَّا تهويل المستفهم عنه، وإمَّا تفخيمه؛ فالتَّهويل في الشَّدائد والمحن، والتَّفخيم في المواهب والنعم"[61]، وهو دال على التَّهويل هنا في موضعه، وفي القرآن الكريم إذا جاء الفعل ماضيًا (ما أدراك) فهو محقق الوقوع دال على التَّهويل، أمَّا إن جاء الفعل مضارعًا، كقوله تعالى: **(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)** سورة الشورى: 17، فهو غير محقق الوقوع، والاستفهام فيه دال على الإنكار، ونفي الدِّراية[62].

ثالثًا: العطف، وقيمته البلاغيَّة.

في قوله تعالى: **(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)** تكرَّر حرف العطف **(ثُمَّ)**، فقد ذُكِر مرتين، و **(ثُمَّ)** تفيد تراخي مضمون الجملة قبلها؛ أي بُعْد درجته في الغرض الَّذى هو مسوق له في الكلام[63]، وفي الآيات الثَّلاثة تصاعد العذاب الَّذى يلاقيه مَن كذَّب بالبعث والحساب، ومن الإهانة والحرمان إلى العذاب، ثمَّ التَّقريع والتَّيئيس مِن إدراك رحمة الله تعالى[64]؛ ففي الأولى حرمان لهم من رؤية الله ﷻ. ورؤية الجنَّة بما فيها من نعيم، ثمَّ تصاعد الويل بفضل حرف العطف **(ثُمَّ)** إلى دخولهم جهنم واحتراقهم بنارها، ثمَّ (يقال لهم) إشارة إلى مالك؛ خازن جهنَّم **(هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)**، يؤكد هذا قوله تعالى:)**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** (سورة الزخرف: 77-78، فقولهم: **(لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)** يدلُّ على أنَّهم كانوا يعذَّبون آملين في أن ينتهي عذابهم يومًا ما؛ بتبديدهم سدى ليرتاحوا من العذاب، لكنَّ خازن جهنم (مالك) في تقريعه لهم يصيبهم باليأس، إذ هم خالدون في العذاب لا محالة، إذن، فطاقة **(ثُمَّ)** الدَّلالية قد تصاعدت بالمعنى من الحرمان والإهانة إلى العذاب، ثمَّ أخيرًا اليأس من إدراك الرَّحمة وخلودهم في ذاك العذاب.

رابعًا: دلالة حذف الفاعل.

في قوله تعالى: **ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)** الفعل **(يُقَالُ)** مبني للمجهول، أو هو ما لم يُسَمَّ فاعله، وقد رأى البلاغيُّون أنَّ الهدف من "حذف الفاعل للعلم به والجهل، والإبهام، والتعظيم، والتحقير، والخوف منه، أو عليه"[65] إلَّا أنَّ الأمر في لغة القرآن الكريم يستلزم منَّا إمعانًا أكثر في المغزى، والحكمة من ورائه، صحيح أنَّ البناء للمجهول فيه تركيز على الحدث، فما يسترعي الانتباه هو (المقول) الَّذي (يقال)، لكنَّ الباحث يرى فيه دليلَ إهانة لأولئك المكذبين، ألم يقل الله في كتابه الحكيم:) **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُإِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** سورة آل عمران: 77، فعدم كلام الله ـ ﷻ ـ لهم إهانة وتحقير من شأنهم، ثمَّ إنّ الملائكة لا يخاطبون أهل النَّار إلَّا بما أراد الله ـ ﷻ ـ لا يعصون الله ما أمرهم، يقول تعالى في محكم تنزيله:) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)** سورة التحريم:6، فالغلظة والشِّدة من صفات ملائكة العذاب، وما (يقال) للمكذبين إذا كان بغلظة وشدة أرْهَبَهم، ومكَّن اليأس من قلوبهم.

(60) ينظر: ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي، هجر، ط1، 1410هـ، ص246/2

(61) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، 2001م، ص355

(62) ينظر: السامرائي، فاضل، لمسات بيانية، دار عمار، المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة، 1423هـ، ص398

(63) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 30/ 201

(64) ينظر: المصدر السَّابق، ص 30/ 200.201

(65) ابن أم قاسم المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، دار الفكر العربي، 2008م، 598/2.

خامسًا: بلاغة التَّكرار.

للتَّكرار وظائف بلاغيَّة عديدة[66]، يقوم بتعيينها موضعُه من السِّياق، فقد يكون للمبالغة في التَّضرع؛ إذا كان في باب الدعاء، أو لتأكيد الإنذار والرَّدع وتمكين الفزع من قلوب المخاطَبين، وغير ذلك من الأغراض، وقد ذكرت كلمة **(كَلَّا)** في آيات هذا المبحث (المطففين7-17) ثلاث مرات؛ ففي **الأولى:) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ)** فيها إبطال وردع لما تضمنته جملة **(أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ)** من التَّعجيب من فعلهم التَّطفيف، والمعنى: (كلا بل هم مبعوثون لذلك اليوم العظيم، ولتلقّي قضاء رب العالمين)، فهو جواب عمَّا تقدَّم[67].

وفي **الثَّانية: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** اعتراض بالرَّدع، وهي تأكيد لردعهم؛ لادعائهم بأن ما جاء في القرآن الكريم من أمْر البعث والحساب **(أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)**، وقد أبطل الله ـ ﷻ ـ هذا بكلمة **(بَلْ)**، وأنَّه (الرَّيْن) الَّذي أعمى بصائرهم عن رؤية الحقّ.

وفي **الثَّالثة: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)** زيادة في تأكيد الرَّدع، تمهيدًا لوقوع القضاء عليهم بالحرمان، ثمَّ العذاب، ثمَّ الخلود في الجحيم، إذن، فهي لتأكيد الرَّدع، لكن لا يغفل تصاعد الدَّلالة هنا، فمن تأكيد لبوار رؤيتهم الفاسدة، إلى بيان علة فساد رؤيتهم بسبب اعتيادهم لأعمال الظُّلم والطُّغيان؛ فتمكَّن الصَّدأ من قلوبهم، ثمَّ أخيرًا تأكيد الرَّدع والقضاء عليهم إن استمروا في طغيانهم بوقوع العذاب.

سادسًا: بلاغة الإيجاز بالقصر.

يقول الله تعالى: **(وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ)**، فصفات هؤلاء المكذبين بالبعث والحساب ثلاث صفات: معتد؛ أي: ظالم، ينكر ما جاء في القرآن الكريم من شرائع، أثيم: وهي صيغة مبالغة دالة على كثرة إتيانهم المعاصي[68]، ومكذِّب: يدعي على القرآن الكريم ما ليس فيه، مِن أنَّه **(أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)**.

وأسلوب القصر المركَّب مِن النَّفي (ما) والاستثناء (إلّا) يؤكد قصر صفة التَّكذيب بيوم البعث والحساب على **(كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ)**؛ يرمي كلام الله ـ ﷻ ـ بالباطل، وليس بالضَّرورة أن يقول فيه نفس الكلمات **(أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)**؛ فقد يقول ما يساويها، أو يدَّعي أنَّه من قول بشر، فظنهم ظن من أشرك وكفر[69]، وكلمة **(كُلُّ)**(في قوله: **(كُلُّ مُعْتَدٍ**(تؤكد أنَّ المراد في الآية العموم لا التَّخصيص، فالمراد: (وما يكذب به أحد، أو مخلوق، إلَّا كان معتديًا أثيمًا مستحقًا لخلوده في العذاب).

ودلالة هذا الأسلوب (القصر) في الآية يؤكد أحاديَّة المسار في السُّورة الكريمة، فمصير (المطففين/الفجَّار/المكذبين) المُصِرّين على طغيانهم كمَصِير أهل الكفر من الخلود في العذاب، مِن أجْل هذا أكَّد النصُّ القرآني إصرارهم على الفساد، وكثرة إتيانهم المعاصي بصيغ الأوصاف، أو المشتقات الدَّالة على الثَّبات والاستمرار وكثرة إتيانهم المعاصي، مثل: **(أَثِيمٍ)** صيغة مبالغة، و **(مُعْتَدٍ)** و**(الْفُجَّارِ)** و **(لِلْمُكَذِّبِينَ)** اسم فاعل.

المبحث الثَّالث- مآل الأبرار.

المطلب الأول: التَّحليل الإجمالي للآيات (المطففين18 – 28).

قال الله ـ ﷻ ـ: **(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ**

(66) ينظر: عباس، فضل، البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني، دار الفرقان، ط1، عمان، 1407هـ، ص487

(67) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 194/30

(68) ينظر: المصدر السابق، ص 197/30

(69) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 198.197/30

رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) سورة المطففين: 28،18.

قال بعض المفسرين في **(كَلَّا)** الَّتي تصدَّرت الآية الأولى من هذه الآيات: "ردع عن التَّكذيب"[70]، لكنَّ مسار الكلام هنا عن الأبرار، لا الفجَّار، فهو عن وعدٍ، لا وعيد، وما يعقبها بشارة لمن آمن واتقى، فيكون المعنى: حقًّا، أي: ليس الأمر على ماظننتُم أيها الفجَّار[71]، أو أن يكون: دع عنك خبر الفجَّار إهمالًا واحتقارًا لهم، وانتبه إلى ما أُعِدَّ للمقربين من الأبرار.

أمَّا قوله تعالى: **(إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِلَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ)**.

فـ **(كِتَابَ الْأَبْرَارِ)**: ما كُتِب من أعمالهم الصَّالحة، و **(عِلِّيُّونَ)** عَلَمٌ لديوان الخير الَّذي دُوِّن فيه أعمال صلحاء الإنس والجن[72]، و**(عِلِّيُّونَ)** مفردها: (عِلِّي)، وتجمع على جمع المذكر السَّالم، وهي دالة على (علو) المكانة ورفعة الشَّرف والفضل[73]، كما كانت **(سِجِّينٌ)** دالة على خسَّةٍ، وحقارة المنزلة.

وفي قوله: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ)** استفهام دال على تفخيم وتعظيم وتكريم مكانة الأبرار العليَّة[74].

وفي قوله: **(كِتَابٌ مَرْقُومٌ)**، فالرَّقْم هنا دالٌّ على نقيض ما كان في حق الفجَّار، إذ ـ هنا ـ هو ثَبْتٌ لصالح أعمالهم وأقوالهم، يحصيها لهم، لا عليهم، وهي من الوضوح والبيان؛ كعلامات التَّرقيم المبينة للمعنى، المثبتة للأعمال والأقوال، بل والنَّوايا الصَّالحة، فهو الثَّواب الأعلى، والمقام الأسمى، يقول النَّبي ـ ﷺ ـ: **"صَلَاةٌ فِي إِثْرِ صَلَاةٍ، لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا، كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ"**[75].

وفي قوله تعالى: **(يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ)** الضَّمير في الفعل عائد إلى الكتاب، والمقربون "هم الملائكة أهل كل سماء"[76].

غير أنَّ كلام الله ـ ﷻ ـ يدفعنا إلى القول بأنَّ (المقربين) هم السَّابقون من الأنبياء والمؤمنين الأبرار فقال: **(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)** سورة المطففين:28، والملائكة لا تنعم بطعام أو شراب، وقال: **(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا)**سورة الانشقاق: 7 - 9، وما أهله غير المؤمنين، فهم جميعًا إخوة، ألم يقل العزيز الحكيم: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(**سورة الحجرات:10؟

أمَّا قوله تعالى: **(إِنَّ الْأَبْرَارَلَفِي نَعِيمٍ)**، فتقع موقع البيان لقوله: **(إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِلَفِي عِلِّيِّينَ)**، ومضمونها قسيم لمضمون جملة **(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)** [77] سورة المطففين: 15، وهو ممَّا يزيد الفجَّار حسرةً وعذابًا؛ إذ يُحْتَمل كون هذه الآية من جملة المحكي لهؤلاء العصاة المكذبين، وما جاء بعدها قسيم لمضمون ما قيل في حقِّ الفجَّار، لذا فما بعدها تفصيل لنعيم الأبرار يوم القيامة، فهم متَّكئون **(عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ)** إلى وجه الله ـ ﷻ ـ وإلى كلِّ جميل أُعِدَّ لهم في الجنَّة، وقد حُذِف مفعول ينظرون لدلالة العموم، أي: ينظرون إلى كلِّ ما يبهج نفوسَهم، وهو على خلاف ما كان في شأن الفجَّار من الحجاب والمنع والإهانة والتَّحقير، فالأبرار هم أصحاب النُّفوس المطمئنة المكرمة عند ربِّهم حتَّى ترضى، يقول الله ـ ﷻ ـ: **(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي)** سورة الفجر:27-30، فهم في درجات تناسب مقاماتهم، وهذا سرُّ تنكير كلمة **(نَعِيمٍ)**؛ لتدل على عموم وتعدد درجات الأبرار في الجنَّة، كلٌّ فيما يناسب مقامه ودرجته من الخيرية والصَّلاح.

---

(70) الزمخشري، الكشاف، ص1188

(71) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص147

(72) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 1188

(73) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 203/30

(74) ينظر: سلامة، محمد، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص399

(75) ابن داود، سنن أبي داود، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت، ص 27/2

(76) ابن حيان، البحر المحيط، ص 434/8

(77) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 204/30

وإذا كانت ملامح المذعور منقبضة كالحة، فوجوه الأبرار مستبشرة ناضرة، يقول تعالى: (**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**) سورة المطففين:24، و(ال) التَّعريف في (**النَّعِيمِ**) للعهد، تصديقًا لوعده لهم سبحانه وتعالى، وقد أُضِيف المسبب إلى السَّبب في قوله: (**نَضْرَةَ النَّعِيمِ**)، فالنَّعيم هو سبب نضرة وجوههم، وهي نضرة لا تزايل الوجوه، كما هو الحال في الدُّنيا الزَّائلة، إنَّما هي بهجة وحسن في دوام وخلود مع نفوس ووجوه أصحابها، يعرفها كلُّ من ينظر إليها[78]، فهم في شباب دائم، وسعادة أبديَّة.

وفي قوله تعالى: (**يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ**) الفعل المبني للمجهول للدَّلالة على أنَّهم مخدومون، فهي دار النَّعيم لا يمسَّهم مشقة، أو إعياء، كما هو حال الدُّنيا في تحصيل الأرزاق، مصداقًا لقوله تعالى:) **لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**) سورة الحجر: 48، والـ(**رَحِيقٍ**) اسم للخمر الطَّيبة الصَّافية، و (**مَخْتُومٍ**)، أي: مسدودة آنيته[79]، والختم دال على أنَّه ما من أحد قبلهم قد مسَّ الآنية المعتقة لهم، مِن قبل ولادتهم في دار الابتلاء، وخمره (**بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ**) سورة الصافات:46، وليست كريهة المذاق والرَّائحة كخمر الدُّنيا، كذلك لا يصيبهم منها إعياء وصداع وإرهاق كالخمر الَّتي عزفوا عنها في الدُّنيا؛ امتثالًا لأوامر ربِّهم، يقول تعالى: (**لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ**(سورة الواقعة:19، وهذا الرَّحيق (**خِتَامُهُ مِسْكٌ**)، أي: طعم ختام شربه بطعم المسك، والمقصود نكهته، ويحتمل أنْ يكون المعنى: سدادة آنيته مِن (المسك)، لا الطِّين؛ كما كان عندهم في الدُّنيا، لتفوح نكهته الطيِّبة على الآنية[80].

وفي نعته سبحانه ـ ﷻ ـ (الرَّحيق) بقوله: (**خِتَامُهُ مِسْكٌ**)إمتاع للأبرار من خلال حاستي الشَّم والتَّذوق.

وفي قوله: (**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**)، أي: "فليرتغب المرتغبون"[81]، أو أن تكون (الفاء) بمعنى (إلى) فيكون المعنى: إلى ذلك فليبادر المتبادرون إلى العمل الصَّالح[82]، وتكون الجملة: (**فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**) بمثابة التَّذييل؛ لأنَّ المقدَّر: فليتنافس الأبرار، أو المخاطبون.

وفي قوله تعالى: (**وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ**)، المزاج هو شرابٌ يُصَبُّ على (الرَّحيق) من علٍ، وأصل (التسنيم) هو المكان المرتفع، وقيل: هي "علم للعين نفسها"[83]، فهي عين ماء في الأعالي تنحدر، إلى الأبرار؛ يُمْزَجُ بها الشَّراب ويسقون منها.

وأمَّا قوله تعالى: (**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**)، هي بيان لقوله تعالى: (**تَسْنِيمٍ**)، والباء في قوله: (**بِهَا**) تحتمل تأويلات عديدة، فقد تكون سببيَّة، أي: بسببها، وقد تكون باء الملابسة، أي: يشربون الرَّحيق وهم محيطون للعين، وقد تكون للتَّبعيض بمعنى (مِن)، أي: منها[84].

المطلب الثَّاني: من أسرار آيات مآل الأبرار.

أولًا: السِّياق وبلاغة الكلمة.

في قوله تعالى: (**فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**) جناس اشتقاق[85]، وأصله نَفَس ينفس تنفيسًا ونَفَسًا، أي: فرَّج تفريجًا وفَرَجًا، وتقول: هذا المكان أنْفَس من هذا، أي: أرحب منه، ونَفَّسْتُ عنه، أي: رفَّهْتُ وفرَّجتُ عنه، والشَّيء المنفوس هو

(78) ينظر: المصدر السَّابق، ص 205/30

(79) ينظر: المصدر السَّابق، ص 206/30

(80) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 205/30

(81) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إعداد وتقديم: محمَّد عبدالرَّحمن المرعشلي، دار إحياء التُّراث العربي، ص 296/5

(82) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 153/22

(83) الزمخشري، الكشاف، ص1188

(84) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 208/30

(85) ينظر: سلامة، محمد، الإعجاز البلاغي، ص 395

المضنون به والمرغوب فيه[86]، وقال النَّبي ـ ﷺ ـ:" **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...** "[87]، وتنافس (تفاعل) دال على المشاركة والأخذ والتَّعاطي، فكلُّ واحد من المتنافسين يريد الفوز بالشَّيء النَّفيس، فيبذل ما في وسعه لينال ما يصبو إليه، يقول تعالى: **(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)** سورة آل عمران:133، فعلى كل من المتنافسين المبادرة إلى طاعة الله ـ ﷻ ـ؛ ففي الفعل (فليتنافس) دلالة على أمور:

الأول: بيان أنَّ المتنافَس عليه عظيم الشَّأن، فهو شيء (نفيس) عظيم القَدْر؛ ظاهرًا وجوهرًا.

الثَّاني: لام الأمر للتَّحريض والحث؛ وترغيب الله دال على أنَّ في أمره ـ تعالى ـ للعباد صلاحًا وفوزًا عظيمًا.

الثَّالث: دال على أنَّ التنافس لا يجب أن يكون إلَّا على العظيم الدَّائم لا الحقير الفاني.

الرَّابع: فيه دلالة على أنَّ نعيم الجنَّة يتسع لكلِّ المتنافسين.

ثانيًا: بلاغة المقابلة ودلالة السِّياق.

إنَّ المشابهة التَّركيبيَّة مع مقابلة المعاني للآيات في مآل الأبرار: **(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ)** للآيات السَّابقة في قول الفجَّار:) **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ)** تجعل من مضمونها قسيمًا لمضمون شبيهتها[88]؛ لتتحول الدَّلالة من وعيد إلى وعد، ومن ردع وتفزيع إلى بشرى.

إنَّ شحن السِّياق ـ هنا ـ بالبشارة يخصِّبُ المفردات المتشابهة بطاقة دلالية مخالفة لنظيرتها، فلا تتوقف المقابلة عند التَّركيبات والألفاظ المتضادَّة معجميًّا، كما في: (الفجَّار× الأبرار) ـ (سجِّين × عليين) ـ (الجحيم × النَّعيم)؛ إنَّما تنسحب هذه الطَّاقة إلى المتشابه، بل المكرَّر منها، فتتحرك دلالتها إلى النَّقيض؛ لتصير **(كَلَّا)** في آيات الأبرار لا تعني الزَّجر والرَّدع كما هو الحال في شأنها مع آيات الفجَّار، لتأوَّل بمعنى: حقًّا، أو: دع عنك ذا، وتصير ـ كذلك ـ كلمة **(كِتَابٌ)** بمعنى: (ديوان الخير)، على خلاف معناها في شأن الفجَّار؛ الَّتي تعني فيه: (ديوان أعمال الشر)، كما تصير كلمة **(مَرْقُومٌ)** في جانب الأبرار تعني: علامات الصَّلاح والفوز والبشرى يوم الحساب، بخلاف معناها في شأن الفجَّار؛ إذ تعني عندهم: علامات الخسار والشُّؤم وسوء المصير.

ولا تقف تلك الطَّاقة عند هذا الحد؛ بل تتجاوزه إلى جميع التَّفاصيل عند كلا الطَّرفين (الفجَّار - الأبرار) على نحو ما سوف يَبِين في المطلب الثَّالث من هذا المبحث بمشيئة الله تعالى[89].

ثالثًا: بلاغة العدول في التَّركيب.

أصل الاستعمال في قوله تعالى: **(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)**أن تقول: (يشرب منها المقربون)، فاستعمال حرف الجر (الباء)، بدلًا من حرف الجر (مِن) له أسرار وإعجاز في النَّص القرآني، فقد قيل: هي زائدة، وقيل: بمعنى (مِن)، وقيل: سببيَّة، وقيل: هي(باء) الملابسة[90].

أمَّا القول بأنَّها زائدة، فلا زيادة في القرآن الحكيم، وأمَّا القول بأنَّها بمعنى (مِن) فيحتمله المعنى دلالةً دون النَّص به، لما سيأتي، فحكمة الخالق اقتضت أن تكون (يشرب بها المقربون)، لا (منها)، كي تحتمل وجوهًا كثيرة من المعاني، فهي إنْ كانت (باء السبب)؛ أي بسببها، فهذا لأنَّ الأبرار مخدومون لا يقع عليهم مشقة أو إعياء، فهم يَأمرون (العينَ) فيسيل

(86) ينظر: ابن منظور، لسان العرب. مادَّة: نفس.

(87) مسلم، صحيح مسلم، ص 2074/4

(88) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 203/30

(89) ينظر هذا البحث: 20

(90) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 208/30

ماؤها حتَّى يصل إليهم بقدر حاجتهم. وهي إنْ كانت (باء الملابسة)، أي ملابسين للعين، ما يعني إحاطتهم لها وهم يشربون، لِيُسَرَّ كلٌّ منهم، برؤية مَن معه من أهل الجنَّة، فأهل الجنَّة (متقابلون) لا يرى كلٌّ منهم سوى وجوه إخوته الأبرار.

والسؤال: لماذا لم تأتِ على أصل الاستعمال؟ لماذا لم يقل: يشرب منها المقربون؟

والإجابة كامنة في أنَّ استعمال الأصل يحتِّمُ دلالة التَّبعيض، وأخذ البعض من الكلِّ ينقصه لا محالة، أمَّا (تَسْنِيمٍ)، فهي لا تنقص مهما أُخِذ منها، بدليل وصف الله ـ ﷻ ـ عيون الجنَّة بالفوران الدَّائم، الَّذي يبقيها على حالها دون نقصان، يقول تعالى: **(فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ)** سورة الرحمن: 66، أي: فوارتان لا ينقطع منهما الماء ولا ينقص.

رابعًا: بلاغة الحذف.

في قوله تعالى: **(عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ)** قد حذف مفعول **(يَنْظُرُونَ)**؛ لإفادة التَّعميم، أي: ينظرون ليروا الله تعالى، وينظرون ليروا إخوانهم من الأبرار، وينظرون ليروا كلَّ صور النَّعيم في الجنَّة، وإلى أعدائهم وهم يُعذَّبون لتُشفَى صدورهم[91]، بل ينظرون ليروا كلَّ شيء، ببصر مطلق لا يقطعه حجاب، أو بُعْدُ مسافة كما هو حال الإبصار في الحياة الدُّنيا.

خامسًا: بلاغة البناء المجهول.

في قوله تعالى: **(يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ)** الفعل **(يُسْقَوْنَ)** مبنيٌّ لما لم يُسَمَّ فاعلُه، تعمل فيه طاقة الحذف ما لا يصنعه الذِّكْرُ في ذات الموضع، وتطلق العنان للخيال؛ فأهل الجنَّة (مخدومون)، فهناك مَن يسقيهم، فد تكون ملائكة الرَّحمة في دار النَّعيم، وقد ينشط الخيال لنتصور أنَّ الأبرار يأمرون آنية الرَّحيق فتقوم هي بسقايتهم، ولِمَ نستبعد مثل هذا، وقد أنبأنا الله ـ ﷻ ـ في حديثه القدسي بما هو أبعد من ذلك، حيث قال: " **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَعَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** "[92].

سادسًا: بلاغة الاستفهام.

تقدَّم الحديث[93] عن بلاغة الاستفهام في قوله تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ)**، وكانت دلالته محصورة في التَّهويل والرَّدع والتَّفزيع للفجَّار، أمَّا في قوله تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ)**، فالله ـ ﷻ ـ يخاطب نبيَّنا الكريم، أو أي مخاطَب: ما أدراكَ عظمة وسمو مقام الأبرار في الجنَّة؟ فقوله: **(وَمَا أَدْرَاكَ)** هنا للتَّفخيم؛ لأنَّ الاستفهام في مقام المواهب والنِّعم لأهل الجنَّة من الأبرار، بخلاف ما كان عليه عند (الفجَّار)، حيث كان للتَّهويل؛ لأنَّه كان في سياق الشَّدائد والعقاب لهم.

سابعًا: بلاغة التَّكرار، وتعيين الدَّلالة.

تكرَّرت كلمة **(الْمُقَرَّبُونَ)** في الآيات، وذهب ـ كما تقدَّم ـ[94] تأويل المفسرين للأولى **(يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ)** أنَّهم الملائكة، أو أهل السَّماء، لكن نهض تكرارها في قوله تعالى: **(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)**بتعيين الدَّلالة، إذ لو كان **(الْمُقَرَّبُونَ)** هم الملائكة ما شربوا، فدلَّ التَّكرار على أنَّهم من عباد الله الأبرار من الثَّقلين المكلفين.

المطلب الثَّالث: فريقا الآخرة في ظل السِّياق الكلي للقرآن الكريم.

حملت السُّورة الكريمة اسمَ (المطففين)، وهذا دالٌّ:

أولًا: على عظم ذنب (التَّطفيف).

(91) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص1188

(92) البخاري، صحيح البخاري، ص 144/9، ومسلم، صحيح مسلم، ص 2174/4

(93) ينظر هذا البحث: 14

(94) ينظر هذا البحث: 17

ثانيًا: على فساد نفوس أولئك (المطففين/الفجَّار)، إلى الحدِّ الَّذي يلحقهم ـ إن أصَرُّوا على المعصية ولم يتوبوا عن ذنبهم ـ بالكفَّار في الخسار وبوار الأعمال وسوء المصير.

ثالثًا: على تخصيب الوصف البيِّن لكلا الفريقين (الفجَّار ـ الأبرار)، تنفيرًا من الفريق الخاسر (الفجَّار)، وترغيبًا من اللَّحاق والانتساب إلى الفريق الفائز (الأبرار)، كلُّ ذلك في أسلوب سياقي معجز، تَذْكُر وتُصَرِّح حينًا، وتحذف وتُلمِّح حينًا آخر، لكن الدَّلالات في كلٍّ لا تغيب، حتَّى وإنْ لمْ يُذْكَرْ بعضُها نَصًّا، فالسِّياق الفيصل في ذلك.

وإذا كانت آيات القرآن الكريم يفسِّر بعضُها بعضًا، فما نراه مجملًا في موضع يفسره ما هو مفصَّلٌ في موضع آخر، وفي سورة (المطففين) يستدعي الحاضرُ نصًّا؛ في جانب أحد الفريقين نصَّ ما هو موجود بالقوة في جانب الفريق الآخر، وبالتَّالي استدعاء نصها في مواقع أخرى من نسق القرآن الكريم أو الحديث الشَّريف؛ فحين نقرأ ـ مثلًا ـ قوله تعالى:) **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ)**، وما فيه من دلالة على الحبْس وتقييد الحريَّة لنفوس **(الْفُجَّارِ)** يحتِّم مسارُ الدَّلالة أن تكون نفوس الأبرار حرَّة طليقة، وهذا يستدعي قول نبينا الكريم عن الشهداء؛ وهم من (الأبرار): "**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ**... "[95].

وحين نقرأ في وصف الكتاب المرقوم للأبرار: (**يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ)** نعلم أنَّ **(سِجِّينٍ)**الفجَّار دفين الظَّلام والحُجُب.

وحين نقرأ في شأن (الفجَّار): (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)**، أي: محجوبون عن رؤية الله ـ ﷻ ـ ونعيم الجنَّة يُسْتَدْعَى **أولًا:** من القرآن ما يؤكد حبسهم؛ مثلما في قوله تعالى: **(عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ)** سورة البلد: 20، وقوله تعالى: **(فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ)** سورة الفجر: 25 ـ26، **وثانيًا:** نعلم أنَّ رؤية الله ـ ﷻ ـ محقَّقة للأبرار، فيُستَدعَى من الذِّكر الحكيم: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**(سورة القيامة:22 ـ 23).

وحين نقرأ قوله تعالى في وصف الفجَّار: (**الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)** سورة المطففين:11ـ13؛ نعلم أنَّ (الأبرار) يؤمنون بيوم الدِّين، وأنَّ نفوسهم مفطورة على الإيثار والعطاء، على خلاف نفوس (الفجَّار) المفطورة على الأثرة والكسب الحرام، وهذا بدوره يستدعي قوله تعالى: **(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** سورة البقرة:177، فهي نفوس بارَّة معطاءة، صدقت مع ربِّها، أمَّا أولئك المطففون الفجَّار الَّذين التزموا شكل العبادات دون جوهرها فهم في خسار وويل يوم الحساب.

وحين نقرأ قوله تعالى في وصف الأبرار: (**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ)** سورة المطففين: 24، نوقن أنَّ وجوه (الفجَّار) مغبرة كالحة، يستدعي هذا قوله تعالى في شأن أهل النَّار: **(وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ)** سورة عبس:40ـ42.

وحين نقرأ في وصف الفجَّار قوله تعالى: **(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** سورة المطففين:14، إذ غَطَّى قلوبَ المكذبين الصَّدأُ من كثرة المعاصي واعتيادهم ارتكاب الإثم حتَّى وقعوا في التَّلبيس، وفسدت أقيستهم العقليَّة، وعميت قلوبُهم عن رؤية الحقِّ، حين يقرأ مُمْعِنٌ في النَّظم القرآني هذا؛ يوقن أنَّ (الأبرار) يرون الحق بنور الله ـ ﷻ ـ فيستدعي حقيقةَ المؤمنين المغايرة في الدُّنيا، فما بالك بالآخرة، يقول نبينا الكريم :" **اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ**"[96].

وحين نقرأ قوله تعالى عن نعيم الأبرار: (**يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ)** سورة المطففين: 25، فهذا يحتِّمُ كون شراب وطعام الفجَّار أسوأ ما يمكن تصوره، وهذا يستدعي عددًا من الآيات ـ في سور أخرى ـ تصف طعام وشراب أهل النَّار،

(95) مسلم، صحيح مسلم، ص 1502/3

(96) الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 149/5

منها:) **تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ**(سورة الغاشية: 6.5، وقوله تعالى:) **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا)** سورة النبأ:25.24، وقوله تعالى: **(لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ)** سورة الواقعة: 54.52.

هكذا في شكل من أشكال دوران المعاني، واستدعاء الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النبويَّة أو القدسيَّة، الَّتي من شأنها البيان التَّام، ما يجعل طرفي الصُّورة (الفجَّار – الأبرار) نقيضين في كلِّ التَّفاصيل، لينحاز كلُّ من له قلب إلى فريق الأبرار وخصالهم بما وسع، وينفر كلُّ النفور عن الفجَّار وخصالهم بما وسع.

المبحث الرَّابع- فريقا الآخرة ومشهد التَّبَدُّل.

المطلب الأول: التَّحليل الإجمالي للآيات.

قال الله ـ ﷻ ـ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ (سورة المطففين: 29 ـ36.

مرَّت بنا في الآيات السَّابقة تحولاتُ التَّسمية لمَنْ نزلت بهم السُّورة الكريمة، فَمِن **(للمُطَفِفِيْن)** في الآية الأولى، إلى **(الفُجَّار)** في الآية السَّابعة، إلى **(للمُكَذِبِيْن)** في الآية العاشرة، إلى المجرمين **(الَّذِيْن أَجْرَمُوا)** ـ هنا ـ في الآية التَّاسعة والعشرين، حتَّى تفجعنا التَّسمية في الآية الرَّابعة والثَّلاثين **(الكُفَّار)** كما سيأتي[97].

هنا، (المجرمون/الفجَّار) **(يَضْحَكُونَ)** سخريةً من المؤمنين، وقد قيل في سبب نزول هذه الآية أنَّ أكابر مشركي قريش كانوا يسخرون من المؤمنين، فقد كان "أبو جهل والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي؛ يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين"[98].

إنَّ سبب نزول هذه الآيات (المطففين29-36) ومجيئها في هذا الموضع من سياق السُّورة الكريمة لَدليلٌ بَيِّن على تشابه أفعال المطففين ـ حتَّى وإن كانوا من المسلمين ـ لأفعال المشركين، وبالتَّالي فالمصير واحد، فانظر إلى تلك الخصال الخمسة لهؤلاء المشركين، وانظر ـ كذلك ـ إلى مَن تعرفه مِن المطففين (حتَّى مِن المسلمين): فالخصلة **الأولى** لهم: الاستهزاء والضَّحك مِن المؤمنين:) **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ**).

الثَّانية: التَّغامز عليهم وإعابتهم في نظر مَن يقعون تحت غوايتهم: **(وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ)**.

الثَّالثة: الإعجاب بالنَّفس، أو الكِبر: **(وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ)** ؛ إذ تأخذهم العزَّةُ بالإثم.

الرَّابعة: قَلْب الحقائق بسبب فساد نفوسهم: **(وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ)**؛ إذ اشتروا الدُّنيا بالآخرة؛ لظنِّهم الفاسد بأن ما في الآخرة من ثوابٍ غيبٌ لم يتيقنوا من وجوده، فما كان حقًّا رأوه باطلًا وضلالًا؛ والضَّلال هنا ليس الضَّلال الشَّرعي؛ إنَّما هو فساد الرَّأي[99]، فإنَّهم ينعتون المؤمنين بالضَّلال لأنَّهم ـ أي: الكفار والمطففون ـ آثروا التَّلذذ الجثماني المؤقت الزَّائل على السَّعادة الأبديَّة.

أمَّا الخصلة **الخامسة**: فقد جعلوا من أنفسهم ـ بسبب تكبرهم ـ أوصياء ورقباء على النَّاس، وكأنَّهم آلهة يختارون لهم مساراتهم، وما يظنونه سيحفظ أحوالهم: **(وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ)**، فهم لم يؤمروا إلَّا بإصلاح أنفسهم، أمَّا غيرهم فقد أوكل له الله ـ ﷻ ـ رسله وبعض ملائكته **(وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ)**، فالرَّقابة للملائكة الموكلين

(97) ينظر هذا البحث: 23

(98) الرازي، مفاتيح الغيب، ص 102/31

(99) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 213/30

بتسجيل أفعال وأقوال الإنسان، أمَّا الرُّسل فلم يؤمروا إلَّا بدعوة النَّاس إلى الله فحسب، قال تعالى: **(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)** سورة الغاشية: 22، أي: لست مسلطًا عليهم، ولا مُكرِهًا لهم على اتِّباع الحقّ.

لكنّ وعد الله حقٌّ، يوم القيامة يحق الله الحقَّ ويبطل الباطل، يوم ينصف الميزانُ من آمن واتقى وصدَّق بالحسنى، حينها ينقلب حال الظَّالمين الكافرين **(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)**، الفاء في قوله: **(فَالْيَوْمَ)** فاء السَّببية؛ دالة على أنَّ سخرية الفجَّار من الأبرار في الدُّنيا سبب لسخرية المؤمنين منهم يوم القيامة[100]، لكنَّها سخرية حق لا باطل، يوم يشفي الله صدورَ قومٍ مؤمنين لهين بهم الكفَّار.

وفي قوله تعالى: **(عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ)**، أي: ينظرون إلى الفجَّار الظَّالمين الكفَّار، وهم جلوس، لا يُكَلَّفُون مشقَّة الذَّهاب إليهم[101]، إذ كما ذكرت آنفا قد تبدَّلت أبصار مطلقة، لا تحدها أي حجب بأبصارِهم المقيدة المحدودة في الدُّنيا، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن من ينظر إليهم هم الكفَّار[102]، لا المطففون من المسلمين، لكن الآيات نزلت، فإن أَصَرّ (مُطَفِّفٌ مسلم) على (ظلمه) ففيه ما يدلُّ على إضمار الكفر بيوم الحساب، والبعث؛ إذ (الظُّلم) شرك بالله، أَلَمْ تُفَسّر الآية **(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)** سورة لقمان: 13؟ ألم تفسر معنى (الظُّلم) في قوله تعالى:) **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)** سورة الأنعام: 82؟ فمن آثر الدُّنيا ونعيمها وخان الأمانات، وسرق النَّاس، وتكبَّر عليهم فقد كفر، وإن لم يحرك لسانه بكلمات الكفر، ألم يقل النَّبي ـ ﷺ ـ: **"الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ"**[103]؟ فقد أتى النَّبيُّ الكريم بالمؤمن، وفي مقابله (الفاجر)، والكريم وما في مقابله (اللئيم)، أليست صفات أولئك المطففين/الفجار (لؤمًا)؛ واللؤم صفة الفاجر الكافر؟!

وفي قوله تعالى: **(هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)** تأتي هذه الآية خاتمة جازمة لمصير المطففين/ الفجَّار، الظَّالمين/ المكذبين/ الكفَّار، والفعل **(ثُوِّبَ)** مبني للمجهول، أي: جُوزي العذاب بظلمه وتطفيفه، وكذلك فهو مضعف (فُعِّل) دلالة على سوء العذاب وكثرته ودوامه، ولم يُسَمَّ الفاعل، فهل هناك من يعدل كفتي الميزان، وينتصر للضعفاء، ويجازي الظَّالمين غير الله؟! سبحان العليم الحكيم!!

المطلب الثَّاني: المشهد الأخير، وبلاغة الصُّورة المرئيَّة.

يعقد المشهد الأخير مقارنة بين حال الأبرار والفجَّار في الدُّنيا؛ وحالهما في الآخرة؛ بما آل إليه مصير كل فريق، بما اكتسب الأبرار وكسب الفجَّار في أرض الابتلاء.

أمَّا الدُّنيا فالحدث فيها متلبس بالمكان والزَّمان الزَّائلين، فزمان الدُّنيا نسبي؛ فان لا محالة، بخلاف زمن الآخرة المطلق؛ أبدٌ لا ينتهي، وبالتَّالي فالحدث الَّذي لا ينقطع عن الزَّمان في الدُّنيا متبدد مثله، وأثره من لذَّة أو ألم فان كذلك.

وهؤلاء الفجَّار قد اشتروا الفاني بالباقي، غرَّتهم لذَّة الدُّنيا المزيَّفة؛ فآمنوا بالمادي المتحقق للحواس، و(كفروا) بالوعد/الغيب في الآخرة، وعليه فقدْ رأوا ما يفعلون من فساد؛ لتحقيق لذَّتهم في الدُّنيا عين الصَّواب، ورأوا ما يفعل الأبرار ـ من طاعة لله وإيمان بالغيب ـ (ضلالًا)؛ لأنَّ الأبرار ـ في نظرهم ـ يبيعون المادي المتحقق بغيب لا تقع عليه الحواس، والمشهد ثري بالصُّورة البصريَّة، حين يمرُّ المؤمنون على الكفَّار، ترى الفجَّار من وراء ظهور المؤمنين الأبرار يتغامزون عليهم بالإشارات والإيماءات بالعين والحاجب وغيرها لمَن معهم، تحقيرًا من شأن المؤمنين، وإيهامًا ـ لمن يوجَّه لهم الغمز من فريقهم ـ بفساد رأى الأبرار بعد الضَّحك؛ سخرية منهم:) **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ)** بل تسلَّطوا عليهم، وكأنَّهم أوصياء على اختيارات الأبرار في الدُّنيا، فسخروا منهم، وآذوهم، وكلَّما رأوهم ضحكوا، وتغامزوا عليهم، وإذا خلوا إلى أهليهم تفكهوا باغتيابهم، أو بالنَّميمة عليهم؛ علوًّا واستكبارًا: **(وَإِذَا انْقَلَبُوا**

(100) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 214/30

(101) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ص 103/31

(102) ينظر: القرطبي، جامع البيان، ص 227/24

(103) الترمذي، سنن الترمذي، ص 409/3

إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ)متلذذين بهذه السُّخرية، أضِف إلى الصُّورة قراءة من قرأها **(فَكِهِينَ)** بغير الألف، إذ إن "الفَكِه، هو الأشِر البَطِر"[104]، بل يتطاولون عليهم بالقول، فيوجهون لهم كلامًا موجعًا؛ مِن مثْل: اتهامهم بفساد الرَّأي أو الخَبَل، أو أنَّهم يتَّبعون رجلًا مسحورًا، أو كذابًا، أو مجنونًا، أو غير ذلك: **(وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ)**.

ثمَّ ننتقل إلى مشهد من مشاهد الآخرة، حيث يجلس المؤمنون على الأرائك، يحفُّهم الجمال والنَّعيم، تبدو على أساريرهم البهجة، وعلى ثيابهم وطعامهم وشرابهم النَّعيم الدَّائم، يضحكون؛ إذ يقابلهم من بعيد مشهد الكفَّار يتقلَّبون في نار جهنَّم: **(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)**.

ثمَّ يُختَم هذا المشهد الأخير بالاستفهام: **(هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)** ، فيما يحتمله الفعل **(ثُوِّبَ)** المبني للمجهول من كَوْن المؤمنين هم بعض من قال، يشفون صدورهم بكلام موجه للكافرين قائلين: هل جوزيتم، لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟![105].

لينتهي المشهد الأخير مع نهاية السُّورة محققًا غاية ما يُطلَب؛ حيث التَّأثير على المخاطَب، سامعًا أو قارئًا، حين يوازن المشهد القرآني العظيم بين الحالين في الدنيا والآخرة، وكيف انقلب (الفجَّار) من نعيم زائل إلى شقاء أبدي، مقارنة بمعاناة (الأبرار) المؤقتة القصيرة في الدُّنيا مقابل السَّعادة الأبديَّة، حينها ينشط خيال المخاطَب، فيرى بعين قلبه مشهد النَّعيم للأبرار، ويسمع بآذان قلبه صرخات الفجَّار في جهنَّم، فينبري منحازًا إلى فريق الأبرار وأفعالهم، نافرًا من فريق الفجَّار وخصالهم، مهوِّنًا ـ على نفسه ـ ما يلاقيه في دنياه من مكابدة وعَنَتٍ ومشقة، مقابل الفوز بنعيم أبدي، مردِّدًا ـ في نفسه لأعداء الحق في الدُّنيا ـ قوله تعالى: **(فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** سورة التوبة: 82.

إذن، **<u>فعند عقد الموازنة بين الفريقين (الفجَّار)/ (الأبرار)</u>** نجدهما نقيضين معنى ومبنى:

أولًا: أطنب النَّظم القرآني الشَّريف في وصف أعمال الفجَّار في الدُّنيا ؛ فهم: مطففون في معاملتهم مع النَّاس ومع الله تعالى، وهم يكذبون بيوم الدِّين، معتدون/ آثمون، حتَّى ران على قلوبهم صدأ ذنوبهم، فحجبت أنفسهم عن الحقِّ واتِّباع الهدى، بل تعدَّى إثمهم إلى الأبرار فسخروا منهم وآذوهم في الدُّنيا، وكان ذكر صفات هؤلاء الفجَّار حتميًّا في السُّورة الكريمة، لتكتمل وظيفة السُّورة من تحذير المخاطَب من السُّقوط في تلك الأفعال الَّتي مآلها الجحيم، في حين لم يذكر النَّظم القرآني في سورة المطففين أعمال الأبرار في الدُّنيا، اعتمادًا على دلالة السِّياق الَّذي يقتضي انتفاء ما كان في وصف الفجَّار، وهو ما يستقرُّ في نفس كلِّ مخاطَب عاقل إذا ما أراد معرفة أوصاف الأبرار؛ فهم ـ إذن ـ يستوفون الكيل والميزان مع النَّاس ولا يخسرونهم، ويؤمنون بالبعث والحساب، ولا يعتدون، وقلوبهم نورانيَّة ترى الحقَّ بنور الله.

ثانيًا: يعبر النَّظم القرآني الشَّريف عن أعمال الفجَّار في الدُّنيا بالفعل الماضي، أو المضارع الَّذي اكتسب معنى المضي في سياقه: **(كَانُوا يَضْحَكُوْنَ)**، **(انْقَلَبُوْا)**، **(يَتَغَامَزُوْنَ)**، **(مَا كَانُوْا يَكْسَبُوْنَ)**، **(كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِبُوْنَ)**، وهو ما يدلُّ على انقطاع أعمالهم في الدُّنيا وبوارها، وفناء لذتها، بخلاف المؤمنين الأبرار الَّذين كانت أعمالهم في الدُّنيا سببًا لنعيمهم في الآخرة، مع زوال ما كانوا يشعرون به من ألم في الدُّنيا، وكأنَّه لم يكن، وهذا يدلُّ عليه قوله تعالى: **(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)** سورة المطففين:34.

ثالثًا: في موقف الحساب يقع العذاب المعنوي على الفجَّار، فهم أصحاب الشِّمال، وكتابهم في **(سِجِّيْن)**، وهو ما يدلُّ على الضِّيق والحبس والوضاعة والمنع والحرمان والخذلان أمام الملائكة وأمام الأبرار.

أمَّا الأبرار فيباهي الله ـ ﷻ ـ بهم الملائكة وغيرهم من المقربين وكتابهم في عليين، **(يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُوْنَ)**، ويشفي الله صدورهم: **(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)**، وتفسح بلاغة المقابلة السَّبيل للمخيلة كي تتصور موقف البشرى والفخار للأبرار، وموقف الوضاعة والخذلان للفجَّار.

(104) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص156/22

(105) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير:15/9

رابعًا: الجزاء؛ عذاب للفجَّار ونعيم للأبرار، لكن الجزاء مادي ومعنوي، ففي جانب الفجَّار يكون المعنوي لهم خذلان وتقريع وانحطاط وضيق وحبس **(سِجِّيْن)**، وللأبرار سعة؛ **(يَنْظُرُوْنَ)** إلى كل مرأى يريدون، إذ لا حجب أمام أعينهم، فبشرى وسعادة لا تنقطع ومباهاة بحسن الجزاء.

أمَّا المادي؛ فيوجز النَّظم القرآني في السُّورة الكريمة عقاب الفجَّار **(ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوْا الجَحِيْمِ)** إذ الجحيم نار مستعرة، وهو أقصى ما يتصوره عاقل من عذاب مادي.

في حين أطنب النَّظم القرآني في وصف نعيم الأبرار، فهم: **(لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ)**.

فقد ذكر وأطنب النَّظم القرآني في أعمال الدُّنيا للفجَّار وأوجز في مآلهم في الآخرة، في حين حذف ما يخصُّ أعمال الأبرار في الدُّنيا، وأطنب في وصف نعيمهم في الآخرة، وفي ذلك دلالة على أن ما كان من لذَّة للفجَّار في الدُّنيا، فقد فنيت وبقي العذاب، وما كان من ألم للأبرار في الدُّنيا فقد زال وبقي النَّعيم.

خامسًا: في مآل الفريقين **(الفُجَّار)/ (الأَبْرَار)** جمعت المقابلة بين المشابهة والمخالفة؛ **(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (و (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)**؛ أمَّا المخالفة فتتمثل في التَّضاد بين **(الفجَّار)/ (الأبرار)** و**(سِجِّيْن)**/ **(نَعِيمٍ)** وقد تقدَّم الحديث عنه[106]، وأمَّا المشابهة ففي:

- الجمع والتَّعريف لكلمتي **(الفجَّار)/ (الأبرار)**، وفيه دلالة على كثرة كلا الفريقين؛ كل إلى مصيره، وشمول العذاب جميع الفجَّار، وشمول النَّعيم جميع الأبرار، حيث إنّ التعريف فيهما للجنس المراد به الاستغراق[107].
- التَّأكيد بذات الأدوات **(إِنَّ)**، الَّلام في **(لَفِي)**، وهو دال على تأكيد وقوع وثبوت ما ذكر الله من وعد للأبرار ووعيد للفجَّار.
- تنكير **(سِجِّيْن)**/ **(نَعِيمٍ)**، ففي الأولى دال على تهويل العذاب للفجَّار، وفي الثَّانية تعظيم أجر الأبرار.

مشابهة في النَّظم، وتناقض في الدَّلالة لاختلاف السِّياقين.

سادسًا: في مآل الفجَّار استخدم النَّظم القرآني صيغ المشتقات؛ من اسم المفعول **(لَمَحْجُوْبُوْن)**، واسم الفاعل **(لَصَالُوْا الجَحِيْمِ)**، فصيغة اسم المفعول دالة على المبالغة في العذاب وكثرة الحُجُب لهم، فـ " إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنَّه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إيَّاه"[108]، أمَّا في صيغة اسم الفاعل **(لَصَالُوْا)**، فهي بمعنى اسم المفعول، أي: مَصْلِيّ، والمشتق ـ كذلك ـ دال على الثبوت ودوام عذاب الفجَّار.

في حين استخدام النَّظم القرآني في وصف مآل الأبرار ونعيمهم الأفعال المضارعة: **(يَشْهَدُهُ)** و **(يَنْظُرُوْنَ)** و **(تَعْرِفُ)** و **(يُسْقَوْنَ)** و **(يَشْرَبُ)** و **(يَضْحَكُوْنَ)**، والفعل المضارع دال على تجدد وتنوع ألوان وصنوف النَّعيم للأبرار، واستمراره، وخلودهم فيه، كما أنَّه دال كذلك على حرية الأبرار وامتلاكهم الإرادة وقتما وكيفما شاؤوا؛ للنَّظر والضَّحك والشَّراب... بخلاف الفجَّار؛ فهم مكرهون مجبورون على ما هم فيه من عذاب.

سابعًا: إنَّ نهاية هذا المشهد الأخير تؤكد كون المسار البياني واحدًا من أول السُّورة الكريمة حتَّى آخرها، وكون (المطففين) في أولها هم ذاتهم (الكفَّار) في آخرها ـ إن استمروا على العصيان والضَّلال ـ حيث خُتمت بالاستفهام: **(هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)** ، والَّذي يذكِّر الفجار بأنَّ الغيب والبعث والجزاء وتَحقُّق العذاب للمكذبين حق، وهو ما كانوا يكذبون به في أول السُّورة؛ فيما جاء في وصف المطففين: **(أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)**.

(106) ينظر هذا البحث: 19

(107) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 194/30

(108) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمَّد علي النَّجار، دار الكتاب، بيروت، ص203

بعض أسرار آيات المشهد الأخير.

أولًا: بلاغة الألفاظ وإنتاج الدلالة.

في كلمة **(انْقَلَبُوا)** في قوله: **(وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ)** القلب هو تحويل الشَّيء عن وجهه، وانقلب الشَّيء: أي تحوَّل ظهرًا لبطن، كفعل الحيَّة حين تتلوَّى وتتقلب في الرَّمضاء، والقلب صرفك إنسانًا عن أمره أو وجهه الَّذي يريده[109].

لم يقل الله تعالى: وإذا عادوا أو رجعوا إلى أهلهم، بل قال: **(انْقَلَبُوا)**، فهم كالحيَّات يتلوَّون، يقلبون الحقائق، ويسخرون أمام أهلهم من الأبرار، يزيفون الحقائق لصرفهم عن الحقّ، والانقلاب أو التقلُّب دال ـ كذلك ـ على زهوهم، وادعاء سلامة العقل، والتَّصرف أمام الأهل، قال تعالى:**(مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ)** سورة غافر:4، أي: لا يخدعنَّك ظاهر ما هم فيه، (بقاؤهم وسلامتهم الظَّاهرة في تصرفاتهم) في الحياة الدُّنيا، فإنَّ مصيرهم الهلاك يوم القيامة.

ثانيًا: بلاغة العدول في التَّركيب.

في قوله تعالى: **(وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ)** أصل الاستعمال أنْ يقال: وما أرسلوا إليهم، فعدل الله ـ ﷻ ـ عن استخدام حرف الجر (إلى) واستعمل (على) بدلًا منها، ليدل على استعلاء وتكبَّر الفجَّار على الأبرار في الدُّنيا، ومِن تنصيب أنفسهم قَيِّمين على أفعال المؤمنين، لكن ّ الله ـ ﷻ ـ ينفي أن يكونوا مقيضين للرَّقابة على أولئك الأبرار[110].

ثالثًا: أكثر من ملمح بلاغي: في قوله: (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ).

1- فاء السَّببية.

ففي قوله: (فَالْيَوْمَ) فاء السَّببية دالة على أنَّ سخرية (الكفَّار) من المؤمنين في الدُّنيا كانت سببًا لتهكم المؤمنين منهم في الآخرة.

2- التَّقديم والتَّأخير.

أ- تقديم المسند إليه (الَّذِينَ آمَنُوا) على المسند الفعل (يَضْحَكُونَ) دال على تكريم المؤمنين، والاهتمام لشأنهم، وما يُدْخِلُ المَسَرَّة على قلوبهم.

ب- تقديم شبه الجملة (مِنَ الْكُفَّارِ) على متعلقه (يَضْحَكُونَ) فيه تعجيل بما يكون لهم من التَّقريع والتَّهكم، في أول درجات العذاب لهم من قِبل مَن كانوا يؤذونهم ويسخرون منهم في الدُّنيا.

3- بلاغة المقابلة في المشهد الأخير.

هناك مقابلة زمنيَّة بين (كَانُوا) و(فَاليَوْم)، بين مشاهد الدُّنيا، ومشاهد الآخرة، وبين ما في كلٍّ منهما، وانقلاب وتبدُّل ما كان في الماضي إلى (اليوم) في زمن الحضور المطلق، بين نعيم الدُّنيا وزواله للفجَّار وشقائهم الأبدي يوم الدِّين، وفي المقابل: شقاء الأبرار المؤقت في الدُّنيا وسعادتهم الأبديَّة في الآخرة، فاليوم، أي: الحضور الدَّائم الَّذي يبقى نعيمُه للأبرار، ويدوم شقاؤه للفجَّار، كلُّ ذلك مبنيٌّ على مقابلة هذه الآية لقوله تعالى:) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) سورة المطففين: 29.

4- بلاغة الإظهار.

فقد عدل الله ـ ﷻ ـ عن استعمال الضَّمير إلى استعمال الاسم ظاهرًا في قوله : **(مِنَ الْكُفَّارِ)**، فهو إظهار في مقام الإضمار، فلم يقل (منهم) للدَّلالة على أن مَن تتحدث عنهم السُّورة؛ من أولها إلى آخرها، هم (المطففون) المُصِرُّون على المعصية وعدم التَّوبة، هم الفجَّار، هم المكذبون، هم ذاتهم (الكفار) المنكرون للبعث والحساب.

(109) ينظر: ابن منظور، لسان العرب. مادة: قلب.

(110) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 214/30

ثالثًا: بلاغة التَّكرار.

قال الله تعالى في مشهد تنعُّمِ الأبرار يوم القيامة آية (23): **(عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ)** ثمَّ تكررت في مشهد التبدُّل يوم القيامة (آية 35)؛ حيث شقاء الفجَّار وسخرية الأبرار منهم: **(عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ)**، والتَّكرار هنا لا يعني تأكيد المعنى في الآية السَّابقة (23)، إنَّما لتعيين دلالة جديدة بقرينة، أمَّا الدَّلالة الجديدة فالنَّظر يكون من الأبرار إلى الفجَّار يصلون الجحيم، بخلاف الآية الأولى التي دلَّتْ على أنَّهم ينظرون إلى الله تعالى، وأمَّا القرينة فهي في قوله تعالى: **(مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)**سورة المطففين: 34، إذ تغيَّر المشهد، حيث مشهد الحساب، وكرامة الأبرار، وهوان الفجَّار، فالفائزون ينظرون إلى الفجَّار الخاسرين لتُشْفَى صدور قوم مؤمنين.

رابعًا: بلاغة الاستفهام.

ختم الله ـ ﷻ ـ سورة المطففين بقوله: **(هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)** ، وهو استفهام تقريري تعجبي، يفيد عدم إفلاتهم من الحساب والعذاب[111].

لكن الاستفهام في حدِّ ذاته دالٌّ على الطَّلب، وهو موجَّه إلى مخاطَب عام، إذ يحتمل كونه كلامًا محكيًّا عن الله ـ ﷻ ـ لجميع خلقه يوم الحساب، أضِف إلى ذلك أنَّ الثَّواب محمود، وكأنَّ الإثابة جاءت في موضع العقاب، وفي سياقه؛ فالاستفهام دال على السُّخرية والتَّهكم، والتَّقريع للفجَّار الكفَّار، والاستهانة بأمرهم وإغاظتهم، حيث اسْتُعِيرتْ **(ثُوِّبَ)** لجزاء العقاب، وهو شبيه ـ وإنْ جاء في سياق الأمر ـ بقوله تعالى: **(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)** سورة الانشقاق: 24.

الخاتمة.

خلاصة بأهم النَّتائج:

البلاغة العربيَّة واقع لغوي معيش؛ إذ هي قلب اللُّغة النَّابض الَّذي يفصح عن أدقِّ معانيها، ومن خلال هذا البحث، توصَّل الباحث إلى عدد من النَّتائج؛ نجملها فيما يأتي:

1- كشفت بلاغة النَّص في سورة المطففين عن حقيقة (التَّطفيف) ماديًّا ومعنويًّا في سائر معاملات (المطففين) مع الله ـ ﷻ ـ ومع النَّاس، وأن من يُصِرُّ عليه من المسلمين بعد نزول الآيات فيها، فقد اشترى الدُّنيا بالآخرة، وكذَّب وأنكر.

2- إذا كان ترتيب السُّور والآيات توقيفيًّا وبوحيٍ من السَّماء، فإنَّ الآيات الثَّمانية الأخيرة من سورة (المطففين) ـ وإن تحدَّثت عن مآل الكفار وما جاء في سبب نزولها ـ هي استكمال وإتمامٌ دلاليٌّ لمسار المعنى مِن أول السُّورة الكريمة حتَّى آخرها، وما كانت تحولات التَّسمية للمطففين في السُّورة (المطففين ـ الفجَّار ـ المكذبين ـ المجرمين ـ الكفَّار) سوى إنذار وتنبيه سماوي إلى عدم الاستهانة بالمعصية وإن كنت مسلمًا؛ إذ إنَّ المداومة عليها يغلق أبواب القلب، ويُسَلِّطُ عليه تغرير الدُّنيا، فلا يقر صاحبُه ـ في نفسه ـ ببعث أو حساب، فيؤول ذلك إلى فساد في العقيدة؛ وقد نهضت دراسة سورة المطففين البلاغيَّة بإنتاج تلك الدَّلالات مع التَّدليل عليها من خلال بلاغة السِّياق.

3- إذا كانت البلاغة هي الإبانة والإفهام؛ فليست بلاغة النَّص القرآني حلي ورفاهية، بل إعجاز في كمال الألفاظ والمعاني، ومقدرة في حمْل وجوه عديدة من التَّأويل؛ يؤكد الإعجازُ صلاحيتَها لكلِّ زمان ومكان، وأنَّها لا تخلق على كثرة الرَّد في انسجامها وتوافقها مع كلِّ لحظة حضاريَّة يحيها الإنسان في كلِّ بقعة، حتَّى يوم الدِّين.

4- كان للمقابلة ـ بين مآل الفجَّار ومآل الأبرار ـ دور عظيم في تخصيب الطَّاقة العاطفيَّة ـ في سورة المطففين ـ للوصول إلى ذرى الوعيد والزَّجر من جهة، وإلى ذرى الوعد والبِّشارة من جهة أخرى، ما يحقق الرَّدع عن المعصية، واتِّباع الهدى.

(111) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 215/30

5- جسَّدت الأساليب البلاغيَّة بكل مستوياتها؛ صوتيَّة وصرفيَّة وتركيبيَّة وسياقيَّة واقع الأبرار والفجَّار في الُّدنيا، وقرَّبت إلى الأفهام ما تعجز المخيلة ـ دونها ـ عن تصَوُّره؛ من مآل كلا الفريقين يوم القيامة.

6- كشفت الدِّراسة البلاغيَّة التحليليَّة لمفردات سورة المطففين كثيرًا من أسرارها ولطائفها؛ في ضوء سياق السُّورة، وتحت مظلَّة السِّياق الكلي للقرآن الكريم، دون إهمال لجذورها الُّلغوية، أو بنية صيغها.

7- كانت الدِّراسة البلاغيَّة التحليليَّة للتَّركيب وعدوله النَّحوي في سورة المطففين دور أساسي؛ عُوِّل عليه في إنتاج معان دقيقة، وكثير من الَّلطائف.

8- كان لعدول النَّظم القرآني عن استخدام بعض حروف المعاني إلى حروف أخرى وظيفة بلاغيَّة كاشفة لما ناسب السِّياق واقتضاه المقام؛ في كشف مخبوء نفوس الفجَّار، وخبث توجههم في الدُّنيا.

9- كانت المعالجة البلاغيَّة التحليليَّة للأساليب؛ من استفهام وقصر ونفي وتقديم وتأخير وذِكر وحذف وإيجاز وإطناب، وغيرها؛ دور في البيان والإفصاح عن حقيقة تباين كلا الفريقين (الفجَّار ـ الأبرار) في الدُّنيا، وكذلك تباين المآل في الآخرة.

10- كان السِّياق الكلي للنَّص القرآني موجها لدلالة آيات المطففين، وكاشفًا لمساحات واسعة من المحذوف/المسكوت عنه، ومفصلًا لما جاء منه مجملًا.

11- كشفت دراسة سورة المطففين بلاغيًّا عن علَّة تخصيص الله ـ ﷻ ـ سورة كاملة لكبيرة التَّطفيف، حيث إنَّها تبدأ بفساد في المعاملات، لتنتهي إلى فساد في العقيدة، وإنكار الغيبيات، ومِن ثمَّ مشابهة الكفَّار في الاعتقاد والأفعال والمآل.

وصل الَّلهم على خاتم الرُّسل والأنبياء، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- **أسباب النزول المسمَّى لباب النقول في أسباب النزول**، لجلال الدِّين السُّيوطي، مؤسسة الكتب الثَّقافيَّة، بيروت، ط1، 1422هـ.
- **أسباب النُّزول**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عصام عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطَّبعة الثَّانية، 1412هـ.
- **الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم**، لمحمَّد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، الطَّبعة الأولى، 1423هـ.
- **أنوار التَّنزيل وأسرار التأويل**، المعروف بتفسير البيضاوي، لناصر الدِّين أبو الخير عبدالله الشيرازي البيضاوي، إعداد وتقديم :محمَّد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- **البلاغة فنونها و أفنانها – علم المعاني–** ، فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطَّبعة الأولى، عمان، 1407هـ.
- **تفسير البحر المحيط**، لمحمَّد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشَّيخ علي محمَّد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
- **التَّفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم**، لعبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، 2001م.
- **تفسير التحرير والتَّنوير**، للشَّيخ محمَّد الطَّاهر بن عاشور، السَّداد التونسية، تونس، 1984م .
- **تفسير الفخر الرَّازي، المشتهر بالتَّفسير الكبير، ومفاتيح الغيب**، لمحمَّد الرَّازي فخر الدِّين، دار الفكر، الطَّبعة الأولى، 1401هـ.
- **تفسير القاضي البيضاوي**، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمَّد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1419هـ.

- **تفسير الكشَّاف**، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، اعتنى به: خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، 2009م .
- **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك** ابن أم قاسم المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المصري المالكي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1428هـ - 2008م.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطَّبعة الأولى، القاهرة، 1422هـ
- **الجامع الكبير - سنن الترمذي**، لمحمَّد بن عيسى بن الضَّحاك، التِّرمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، 1998 م.
- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ ﷺ ـ وسننه و أيامه = صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النَّجاة، الطَّبعة الأولى، 1422هـ
- **الجامع لأحكام القرآن**، لمحمَّد بن أحمد القرطبي، تحقيق: الدكتور: عبد الله عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسَّسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولى، 1427هـ
- **حاشية محيي الدين شيخ زاده محمد على تفسير القاضي البيضاوي**، ضبَّطه وصحَّحه وخرج آياته: محمَّد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1419هـ
- **الخصائص**، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمَّد علي النَّجار، دار الكتاب، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الدُّر المنثور في التَّفسير بالمأثور**، لجلال الدِّين السيوطي، تحقيق: الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربيَّة والإسلاميَّة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1424هـ
- **ديوان أوس بن حجر**، تحقيق :محمَّد يوسف نجم، دار بيروت، د.ط، 1980م.
- **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِستاني، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا/ بيروت، د.ط، د.ت.
- **شرح تسهيل الفوائد**، لمحمَّد بن عبد الله، ابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة، الطبعة: الأولى 1410هـ
- **صحيح الجامع الصَّغير وزيادته - الفتح الكبير**، لمحمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطَّبعة الثَّانية، 1408هـ
- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، لصدِّيق خان القنوجي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريَّة، 1412هـ
- **الكتاب**، لسيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1982 م.
- **لسان العرب**، لمحمَّد بن مكرم جمال الدِّين ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، 1414هـ
- **لمسات بيانية**، لفاضل بن صالح السَّامرائي، دار عمار، المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة، 1423هـ .
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمَّد عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، د.ط، د.ت.
- **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ
- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ**، لمسلم بن الحجاج أبو النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- **معجم مقاييس اللُّغة**، لأحمد بن فارس الرَّازي، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ
- **الممتع في التَّصريف**، لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق :الدكتور: فخر الدِّين قباوه، دار المعرفة، بيروت، د. ط، 1987م.

- **المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره**، لمحمَّد علي الحسن، قدَّم له :الدكتور: محمَّد عجاج الخطيب، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة الأولى1421 هـ.
- **الموطأ**، لمالك بن أنس: رواية يحي بن يحى الليثي الأندلسي، تحقيق: الدكتور: بشَّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطَّبعة الثَّانية، 1997م.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور**، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404هـ.
- **نهج البلاغة**، للشَّريف الرَّضي، تحقيق: الشَّيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرَّافد، الطَّبعة الأولى، 1431هـ.